روائع المسرح العالمي

٧٣

الغرباء

تأليف : ريتشارد برنسلي شريدان
ترجمة : محمود صابر
مراجعة وتقديم : الدكتور عادل سلامة

الدار المصرية للتأليف والترجمة

مقدمة

١ ـ المسرح الانجليزى فى القرن الثامن عشر

لعل أعظم تحول اجتماعى فى التاريخ الحديث هو ذلك الذى تم تدريجيا خلال القرن الثامن عشر مصاحبا للانقلاب الصناعى ، والذى انتهى بظهور الطبقة الوسطى • تمكن أفراد هذه الطبقة ـ عن طريق جمع الثروة والسيطرة على وسائل الانتاج ـ من أن يشقوا لأنفسهم طريقاً ارتفع بهم من مستوى العامة الى المراتب القيادية ، واستطاعوا ـ عن طريق التحكم الاقتصادى ـ من بسط نفوذهم فى مختلف نواحى الحياة • وكان ظهور هذه الطبقة ايذانا بانتهاء مجد الأشراف ، اذ بدأت المثل والقيم العتيقة التى اعتنقتها الطبقة الأرستقراطية فى التداعى أمام كفاح هذه الطبقة الفتية وجلدها •

كانت الثقافة فى عصر اليزابيث ، وفى عصر عودة الملكية (١٦٦٠) ثقافة أرستقراطية بحتة • كان شكسبير يتوخى فى مسرحياته ارضاء الملكة ، وكتب رواياته التاريخية تمجيدا لأسرتها • وتزاحم فى مسرحياته الأبطال من الملوك والأمراء والقادة (الملك لير ـ وهملت أمير الدنمرك ـ والقائد مكبث الذى اغتصب العرش) كما تغنى سبنسر بسحر الملكة اليزابيث رامزا لها

« بالملكة الجنية The Faery Ineen في قصيدته المشهورة
بذلك الاسم • أما سير فيليب سيدنى Sir Philip Sidney
فقد كان هو نفسه فارسا من الأشراف •

وقد مرت الملكية بمحنة مؤقتة ابان الحرب الأهلية فى منتصف القرن السابع عشر التى انتهت بانتصار كرومويل ، وسيادة النظام الجمهورى لمدة سبعة عشر عاما • وخلال هذه الفترة قويت شوكة فئة من المتعصبين الدينيين المناصرين للجمهورية ، والذين يطلق عليهم اسم « المتطهرين Puritans • وقد دعا هؤلاء الى أسلوب صارم فى الحياة ، وتغالوا فى نظرتهم الدينية حتى أقفلت المسارح بحجة أنها نوع من التسلية المحرمة • ولم تكن هذه الفئة تمثل عامة الناس ، الا أن أغلب أفرادها كانوا ينتمون الى الطبقة المتوسطة •

ولما انقضى عهد كرومويل بعودة شارل الثانى الى الحكم ، أعيد فتح المسارح ، ولكن أغلب سكان المدينة تجنبوا غشيانها ، اذ كانت روح المتطهرين ما زالت تسيطر عليهم ، فامتلأت هذه المسارح بحاشية الملك وأتباعه ومن لف لفهم من أعيان القوم • وقد تحكمت هذه الفئة المحدودة من النظارة فى الحياة المسرحية فى انجلترا فى الفترة ما بين عام ١٦٦٠ وعام ١٦٩٥ • اذ لم يكن المسرح شعبيا خلال هذه الفترة ، ومن ثم فلم يكن فى لندن الا مسرحان فقط اضطر أحدهما الى أن يغلق أبوابه فى عام ١٦٨٢ •

وكان المسرح فى ذلك الوقت أشبه بمنتدى أرستقراطى ملحق بوايتهول Whitehall (المقر الرسمى للحكم) يرتاده الأشراف للقاء الأصدقاء أو بحثا عن المغامرة العاطفية ، وكثيرا ما نشبت المشاجرات أثناء عرض المسرحيات ، وأحيانا كانت تتم المبارزات على خشبة المسرح نفسه . وقد كان لطبيعة هؤلاء النظارة أثر كبير فى نوع المسرحيات التى تعرض ، وطريقة عرضها ، فقد اضطر الممثلون ازاء جلبة هذه الطبقة من النظارة وضوضائها الى الالقاء الخطابى الجهورى ، واضطر كتاب الكوميديا الى حشد النكات اللبقة ، واطالة المحادثات المنمقة البارعة بين الشخوص ، ارضاء لذوق الأشراف الذين كان لا همّ لهم طيلة اليوم الا تبادل النكات والمحادثات من هذا النوع ، وكان ذلك بطبيعة الحال على حساب موضوع المسرحية ، وحبكتها الروائية . وقد حاول جون درايدن John Dryden (١٦٣١ – ١٧٠٠) أن يعيد للمسرح مجده الاليزابيثى الغابر ، فكتب مسرحيته المشهورة « الكل فى سبيل الحب All For Love (١٦٧٧) التى يتناول فيها حياة كليوباترا ، غير أن تناوله هذا الموضوع البطولى الذى سبقه اليه شكسبير ، يدل على أن قريحة الكتاب المسرحيين فى عصر درايدن كانت قد أجدبت ، وأعوزتها الجدة ، كما يدل أيضا على أنهم ترسموا خطى أسلافهم الاليزابثيين فى نزعاتهم الأرستقراطية .

ثم بدأ التحول الاجتماعى العظيم فى أوائل القرن الثامن عشر ، واضطر أبناء الأشراف المعوزين الى الزواج من بنات الطبقة

الوسطى الثرية • حينذاك تحطمت الفوارق بين الطبقتين ، فاستعان الأشراف بثراء البرجوازيين ، وحاول البرجوازيون أن ينحوا نحو الأشراف فى سلوكهم وعاداتهم • بدأ أبناء الطبقة المتوسطة يرتادون المسرح أسوة بأبناء الأشراف • ولكن استمتاعهم به كان يشوبه الحذر والحيطة والتكلف بعكس أبناء الأرستقراط الذين جرى فى عروقهم الدم الأصيل والذين كان موقفهم من المسرح موقف الواثق من نفسه • بيد أن ظهور الطبقة المتوسطة فى الأفق المسرحى كان له أثر ايجابى واضح • فبينما كان يرضى الشريف من المسرحية باللذة الموقوتة ، نظر البرجوازى الى المستقبل ، وأبى الا أن يصرف نقوده فى محلها ، وتطلب من المسرحية أن تترك فى نفسه أثرا أخلاقيا دائما • لذلك كان ارتياد الطبقة المتوسطة للمسرح ايذانا بالاتجاه الى الرواية ذات الموضوع ، والتى تدرس مشكلة معينة ، سواء كانت اجتماعية أو أخلاقية • وقد جاءت أول بادرة لهذا الاتجاه فى مقال « جريمى كوليار Jeremy Collier » عرض قصير لتحلل واثم المسرح الانجليزى Short View of the Immorality and Profaneness of the English Stage

ونشر هذا المقال فى عام ١٦٩٨ • وتبعه لو Law فى عام ١٧٢٦ الذى كتب « الايضاح الكامل لاغراق المسرح فى الرذيلة » "The Absolute Unlawfulness of the Stage Fully Demonstrated"

وظهر بعد ذلك كتاب مسرحيون أمثال كوللى سيبر Colley Cibber الذى كتب عن « الزوج المهمل The Careless Husband »

(١٧٠٤) ويعالج فيها قصة زوج نادم بعد أن أدرك أن وفاء زوجته له كان ناجما عن حب حقيقى لا عن جهل بأخطائه • ونجد أيضا كاتبا كسير ريتشارد ستيل Richard Steele يعالج فى مسرحية « الجنازة ـ أو الحزن الموضة The Funeral, or, Grief à la Mode (١٧٠١) قصة لورد تظاهر بالموت حتى يعرف حقيقة مشاعر أسرته ، فيدرك أن امرأته تظلم ابنه من زوجة أخرى •

بيد أن أثر الطبقة المتوسطة فى الذوق المسرحى كان أكثر وضوحاً فى روايات جورج لليلو George Lillo وادوارد مور Edward Moore ، وكلاهما ينتمى لهذه الطبقة • فقد كان أبو لليلو جواهرجيا ، كما كان أبو مور تاجر أقمشة • وعلى يدى لليلو تحولت الكوميديا المهذبة Genteel Comedy التى كتبت فى أوائل القرن والتى ظلت تحافظ على مشاعر النظارة المرفهة ، تحولت الى ما يمكن أن يسمى بالمسرحية الباكية Lachrymose Play (نوع من الرواية لا يرقى الى مرتبة التراجيديا) • وفى عام ١٧٣١ كتب لليلو أشهر رواياته « تاجر لندن أو قصة حياة جورج بارنول "The London Merchant, or The History of George Barnwell ومحور هذه الرواية صبى عامل وقع فى حبائل العاهرة Millwood التى تغريه بسرقة سيده ، ويضطر أيضا الى قتل خاله ، وتنتهى الرواية بتوبته ، ومحاولته التكفير عن جريمته • وترجع أهمية هذه الرواية الى أن بطلها ليس من الدوقة أو أبناء الأشراف ،

وانما هو فتى من أبناء الطبقة العاملة • كما ترجع أهميتها أيضا الى أن ليللو استخدم فيها النثر لا الشعر ، وبذلك أصبحت المسرحية أقرب الى الواقعية ، وأكثر تعبيرا عن حياة العامة • غير أن المسرحية فيما عدا ذلك ضعيفة البناء ، وأقحم فيها الدرس الأخلاقى اقحاما • ولا يختلف ادوارد مور فى فنه اختلافا جوهريا عن أستاذه ليللو • ففى مسرحية « المقامر The Gamester (١٧٥٣) يعالج موضوعاً شبيها بموضوع « جورج بارنول » ويندد مور فى هذه المسرحية بمساوىء القمار •

فى عام ١٧٣٧ وجهت الى المسرح الانجليزى ضربة شبه قاصمة• اذ صدرت لائحة التراخيص Licensing Act التى أخضعت المسارح للرقابة ، والتى نتج عنها اغلاق جميع المسارح فيما عدا اثنين هما « كوفنت جاردن Covent Garden و « دوروری لان Drury Lane » وقد صدرت هذه اللائحة اثر عرض المسرحيات الهزلية القصيرة التى كان يكتبها هنرى فيلدنج Fielding متندرا بسياسة والبول Walpole رئيس الوزارة فى ذلك الوقت • ومن هذه المسرحيات Pasquin (١٧٣٦) و « السجل التاريخى لعام ١٧٣٦ Historical Register for 1736 » • وقد صدرت لائحة التراخيص أيضا للحد من انتشار الروايات الغنائية الشعبية المعروفة بالبالاد أوبرا Ballad Opera • وأشهر هذه الروايات « أوبرا الشحاذ The Beggar's Opera » لجون جاى John Gay (١٧٢٨)•

وقد لقيت هذه الأوبرا شعبية كبيرة على مسرح لينكولنز اين فيلدز Lincoln's Inn Fields ، وذلك لما تضمنته من تعريض ساخر بالشخصيات السياسية ، وكذلك لأغانيها المرحة . وحاول عدد من المؤلفين تقليد جون جاى فى كتابة مثل هذه المسرحيات الغنائية الشعبية ، وان لم يصلوا الى مستواه .

كانت هناك اذن بوادر نهضة مسرحية فى منتصف القرن الثامن عشر . كان هناك مسرح جون ليللو الواقعى ، وكانت هناك روايات فيلدنج ذات المغزى السياسى . كما كانت هناك « أوبرا الشحاذ » لجون جاى التى وصلت المسرح الانجليزى بنظائره من المسرح فى القارة الأوربية ولا سيما بالأوبرا الايطالية . وكان من الممكن اذن أن تتطور هذه النهضة وتستمر ، وخاصة بعد أن تحقق للمسرح الانجليزى على أيدى هؤلاء هدفه الاجتماعى ، وأصبح الى حد كبير معبرا عن اتجاهات الرأى العام . غير أنه كانت هناك بعض العوامل التى وأدت هذا المسرح فى عنفوانه . وأهم هذه العوامل صدور لائحة التراخيص التى أشرنا اليها . فلم يكن هناك مجال لانتعاش المسرح فى جو خانق للحرية السياسية . اذ أصبح لزاما على كتاب المسرح فى ظل هذه اللائحة أن يستأذنوا الرقابة قبل عرض مسرحياتهم ، وبطبيعة الحال انصرف النابهون منهم عن المسرح كلية ، وآثر فيلدنج أن يتحول من الكتابة المسرحية الى كتابة القصة . وكان ازدهار القصة فى ذلك الوقت عاملا آخر فى انصراف الكتاب والجمهور عن المسرح . اذ أتيحت للقصة حرية

لم تكن متاحة للمسرح فى معالجة الموضوعات الاجتماعية ، كذلك لم تكن القصة تكلف الجمهور جهد الانتقال والمال الذى كان يكلفهم اياه المسرح • كما أتاحت القصة للقارىء فرصة الاستمتاع بالقراءة فى أى وقت من أوقات النهار •

ازاء هذه العوامل التى عرقلت التطور المسرحى ، من جدب الموضوعات ، واغلاق المسارح ، ومنافسة الأنواع الأدبية الأخرى كالقصة ، اضطر القائمون على أمر المسرح الى اتخاذ وسائل أخرى للاحتفاظ للمسرح بشعبيته ولاجتذاب الجمهور اليه • رجعوا الى مسرحيات شكسبير وتفننوا فى اخراجها وتمثيلها • وشهدت الفترة ما بين ١٧٣٠ و ١٧٦٠ ازدهارا لروايات شكسبير على المسرح ، واقبالا من العامة والخاصة على السواء لمشاهدة هذه الروايات ، حتى أصبح هناك ما يمكن أن يسمى بعبادة شكسبير Shakespear cult وليس معنى هذا أن المخرجين والممثلين حافظوا على نصوص روايات شكسبير ، فكثيرا ما تناول المخرجون هذه الروايات بالتغيير والتبديل والتعديل ، وكان الدافع فى معظم الأحيان هو تطهير الروايات وتهذيبها بما يتفق مع روح العصر ، أو اخضاعها لبعض مقتضيات المسرح فى الاخراج التى أصبحت أكثر تعقيدا وأبهى رواء من المسرح الاليزابيثى الذى كتبت له رويات شكسبير أصلا •

ولعل الفضل الأول فى هذا الاهتمام بشكسبير يرجع الى الممثل الشهير دافيد جاريك David Garrick (١٧١٧ – ١٧٧٩)

الـذى كـان مديـــرا لمسرح دوروري لان Drury Lane فقـد أخرج جاريك واشترك فى تمثيـل أكثر من نصف روايات شـكسبير • وكان يعيد كتابتهـا فى نصوص جديدة • وكان ظهور جاريك فى دور « ريتشارد الثالث » عام ١٧٤١ فاتحة شـهرة له • ثم اشترك بعد ذلك فى تمثيل مقتبساته من روايات شكسبير « روميو وجوليت » ، و « حلم ليلة صـيف » و « العاصـفة » و « ترويض الناشز » و « قصة الشتاء » • كما أشرف على تنظيم مهرجان شكسبير عام ١٧٦٩ فى مسقط رأسه ستراتفورد • وقـد امتاز جاريك عن غيره من الممثلين بأنه كان لا يصطنع فى تمثيله حركات معينة ، أو يمثل أنماطا معينة من الشخوص ، وانما كان يظهـر الأشـخاص الذين يمثلهم كأفراد لهم سماتهم المميزة ، ولم يكن يعيد نفسه •

ولم يكن جاريك هو الممثل الأوحد فى هذه الفترة ، فاذا كان منتصف القرن الثـامن عشر لم يشهـد نهضـة باهرة فى الـكتابة المسرحيـــة ، فان هـــذه الفترة بعـد بحق فترة « النجوم Stars فى التمثيل المسرحى ، اذ شهدت نخبة من كبار الممثلين والممثلات • منهم جون فيليب كمبل John Philip Kemble وأخـــــوه تشـارلز كمبل Charles Kemble • وقد لعب الأول بمهارة أدوار : هاملت ، واياجو ، وروميو ، كما لعب الثانى أدوار ماكبث ومركشيو من أبطال شكسبير • وكذلك تشارلز ماكلين Charles Macklin الذى لمع فى دور شيلوك (يهـودى تاجر البندقيـة) وتوماس بترتون Thomas Betterton الذى أدى أدوار هاملت

ومركشيو وماكبث واشتهر بأدائه الجهورى ، وكولى سيبر Colley Cibber الذى كان فى نفس الوقت كاتبا مسرحيا •

كذلك بدأت المرأة فى الاشتراك فى التمثيل • وكانت الأدوار النسائية تسند قبل ذلك الى الصبية • وكانت أول ممثلة ذات جدارة هى مسز بترتون Mrs. Betterton زوجة الممثل توماس بترتون (وعرفت أيضا باسم سوندرسن Saunderson) وقد لعبت أدوار لادى مكبث وأوفيليا وجوليت من بطلات شكسبير • كما لمعت أيضا مسز سيدونز Mrs. Siddons وهى أخت جون وتشارلز كمبل ، وحققت نجاحا باهرا فى الأداء التراجيدى وخاصة فى دور لادى مكبث• ثم هناك أيضا من ممثلات هذه الفترة الشهيرات مسز براس جيردل Mrs. Bracegirdle ومسز فيربراجن Mrs. Verbruggen ومسز بارى Mrs. Barry ومسز أبنجتون Mrs. Obington ومسز أولد فيلد Mrs. Oldfield وكيتى كلايف Kitty Clive

ولم يتطور المسرح خلال هذه الفترة فى التمثيل والأداء فحسب، وانما تطور أيضا من ناحية الاخراج تطورا كبيرا • فأدخلت التحسينات فى مناظر المسرح وكذلك فى الأضواء • ففى الثلاثينات من القرن الثامن عشر استخدمت الأضواء الأرضية المنعكسة Footlights ، كما أسدلت الستائر ما بين فصول المسرحية ، وفى السبعينات استخدمت المناظر الصناعية لخلق الجو المناسب لهذه

الفصول • كذلك أبطل جاريك فى الستينات عادة جلوس النظارة على خشبة المسرح • وأدخلت بعض التحسينات فيما يختص بالملابس، وان لم تبذل محاولات تذكر نحو مطابقة الأزياء للواقع التاريخي•

فكان هاملت مثلا يرتدى زى الأشراف فى القرن الثامن عشر ، كما فضلت ممثلات المأساة ارتداء القطيفة السوداء ، وجرت العادة أيضا أن ترتدى الممثلات الستان الأبيض اذا كانت أدوارهن تنطوى على تمثيل الهلوسة والجنون • وقد كان جاريك مبدعا فى الزى كما كان مبدعا فى التمثيل ، فقد فضل أن يمثل « الملك لير » لشكسبير مرتديا الزى الانجليزى القديم المطابق لتاريخ وقائع الرواية •

٢ ـ حياة شريدان وأعماله •

ظل المسرح الانجليزى فى حالة تجمد خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر حتى ظهر جولد سميث وشريدان فأعادا للمسرح بعض حياته • وكان ظهورهما أيضا بمثابة رد فعل لانتشار « الكوميديا الواعظة Sentimental Comedy التى أغرق فيها كتاب المسرح من الدرجة الثانية • فكتب جولد سميث Goldsmith مسرحيتى « الرجل الطيب القلب The Good-Natured Man (١٧٦٧) و « انها تتمسكن لتتمكن She stoops to Conquer (١٧٧٣) •

كما كتب شريدان Sheridan عددا من المسرحيات أهمها «الغرماء The Rivals» و«مدرسة الفضائح The School For Scandal».

وقد نجحت رواية جولد سميث الأولى نجاحا نسبيا ، ولم يرض النظارة عن فصل فى هذه الرواية أسندت فيه المواعظ والحكم الى محضر (أى الى شخصية متواضعة) وكانت العادة قد جرت قبل ذلك باسناد الأقوال الحكيمة الى شخصيات عالية • وفى عام ١٧٧٣ كتب جولد سميث مقالا فى مجلة وستمنستر Westminster Magazine يقارن فيه بين « الكوميديا الواعظة Sentimental Comedy و « الكوميديا الضاحكة Laughing Comedy وأوضح أن المأساة والمهاة احتجبتا خلال نصف قرن لتحل محلهما « الكوميديا الواعظة الباكية Weeping Sentimental Comedy وقد مهد هذا المقال الطريق لنجاح رواية جولد سميث التالية « انها تتمسكن لتتمكن » •

واذا كان جولد سميث أسبق زمنيا من شريدان ، فان شريدان أكثر منه أصالة فى الفن المسرحى • فقد كان جولد سميث مسرحيا بالصدفة ، أما شريدان فقد نشأ فى بيئة تتصل بالمسرح اتصالا وثيقا • فقد بدأ أبوه توماس شريدان حياته ممثلا ناجحا فى دبلن بأيرلندا وأمضى فترة منافسا لجاريك فى لندن ثم تحول الى الالقاء الخطابى • أما أمه فسبق لها أن كتبت رواية مثل فيها جاريك دورا رئيسيا واسمها « الاكتشاف The Discovery » • وقد أرسل

ريتشارد الى مدرسة « هارو Harrow » وهى مدرسة لأبناء الأشراف ، وكان زملاؤه ينظرون اليه على أنه « ابن ممثل » ليس من مستواهم .

وقد لعب القدر دورا فى حياة الشاب ريتشارد شريدان جعل منه بطلا رومانتيكيا . ففى أثناء اقامة عائلته بمدينة باث Bath تعرفوا بعائلة لينلى Linley ، وهى عائلة موسيقية أوتيت سعة فى الموهبة والعيش ، وكانت اليزابيث لينلى الابنة الكبرى تظهر مع شريدان (الأب) فى حفلات عامة يمارس فيها شريدان موهبته الخطابية وتمارس هى فن الغناء . كان جمال اليزابيث ذات الستة عشر ربيعا حديث أهل باث ، فأحبها غنى عجوز اسمه لونج Long ودفعتها أمها الى قبول عرضه للزواج ، غير أن لونج تراجع عن عرضه ودفع ثلاثة آلاف جنيه تعويضا . ثم حاول شخص آخر اسمه ماتيوز Mathews أن يوقع الفتاة فى حبائله ، ولكنها لم تكن تميل اليه وأسرت بمشكلتها الى اليشيا شريدان Alicia Sheridan الأخت الكبرى لريتشارد ، فاستعانت هذه بأخيها ودبر ثلاثتهم خطة تهرب بمقتضاها اليزابيث الى فرنسا فى صحبة ريتشارد . واستقل الفتى والفتاة عربة تجرها الخيل الى لندن فى ١٨ مارس ١٧٧٢ ، وولدت هذه المغامرة الحب فى قلبيهما ، فلما وصلا الى ميناء كاليه احتفلا بزواجهما . وفى كاليه لحق بهما توماس لينلى والد الفتاة ، حيث أعاد ابنته الى باث . وكان هرب الحبيبين حديث أهل المدينة ، ولم تخفت الضوضاء التى أثيرت حول هذا الموضوع وخاصة بعد أن

اشترك ريتشارد شريدان فى مبارزتين مع ماثيوز الحبيب المخذول • وانتهى الموضوع بأن تزوج ريتشارد شريدان فتاته فى الثالث عشر من ابريل سنة ١٧٧٣ بعد موافقة والدها ولكن دون موافقة والده توماس شريدان الذى كان موقفه من هـذه العلاقة أشبه بموقف سير أنتونى أبسـوليوت Anthony Absolute من ابنـه فى رواية « الغرماء » التى نقدم لها الآن •

حاول شريدان بعد زواجه أن يؤهل نفسه لمهنة المحاماة ، ولكنه توقف عن الدراسـة فجأة • وانتقـل الى منزل فى أورشـارد ستريت Orchard Street كان ينفق فيـه عن سعة دون أن يكون له مورد مال معروف ، وكانت زوجته تغنى لضيوفها • ويقال ان شريدان رفض عروضا سخية تصل الى ثلاثة آلاف جنيه مقابل غناء زوجته • اذ لم يشأ أن يعيش على دخل زوجته ، كما انه لم يكن يود أن يكون هو أو زوجته ممثلا محترفا يُنقد جزاءه • واذا كان التمثيل مما لايليق بالجنتلمان ، فان كتابة المسرحيات لم تكن تتعارض مع ذلك • ففى نهـاية عام ١٧٧٤ أبلغ شريدان حميّه أنه كتب مسرحية هزلية بسبيل أن تعرض فى كوفنت جاردن Covent Garden وأنه سيتقاضى ستمائة جنيه فى مقابلها • وكانت هذه المسرحية هى « الغرماء The Rivals التى عرضت لأول مرة فى السابع عشر من يناير سنة ١٧٧٥ •

منى أول عرض لمسرحية « الغرماء » بفشل ساحق ، واضطر

شريدان أن يوقف العرض بعد ليلتين فقط • ولكنه لم ييأس ، اذ عدل نص المسرحية فى ضوء التجربة ، وأسند دور سير لوسيوس أوترجر Sir Lucius O'Trigger لممثل آخر أكثر قدرة • وأعيد عرض المسرحية فى الثامن والعشرين من يناير أى بعد أحد عشر يوما ، فحققت نجاحا باهراً كشف عن ملكة شريدان المسرحية ، وأثبت أصالته فى هذا الفن •

مضى شريدان الى الأمام بعد أن ثبت أقدامه فى المسرح • فكانت مسرحيته التالية « عيد سانت باتريك ، أو اللفتنانت ذو الحيل St. Patrick's Day, or the Scheming Lieutenant ويقال انه كتبت هذه المسرحية خصيصا للممثل الايرلندى كلنش Clinch الذى أنقذ « الغرماء » من السقوط لاعبا دور سير لوسياس أوترجر بنجاح فى العرض الثانى لها • وعرضت مسرحية « سانت باتريك » أول مرة فى الثانى من مايو سنة ١٧٧٥ • وفى نوفمبر من نفس العام أخرج شريدان بالاشتراك مع لينلى أوبرا هزلية « المربية العجوز The Duenna واستمر عرضها على مسرح كوفنت جاردن خمسا وسبعين ليلة ، وحققت بذلك نجاحا فاق نجاح « أوبرا الشحاذ The Beggar's Opera لجون جاى John Gay

وقد كان نجاح « المربية العجوز The Duenna فاتحة عهد جديد فى حياة شريدان الخاصة والعامة على السواء • فقد استقبلته

محافل الأشراف ، وأصبح أثيرا لدى سيدات المجتمع ، فتلقفته أيدى جورجيانا دوقة ديفونشاير ، ومسز كرو Mrs. Crewe وغيرهما • وكانت الدوقة قبل ذلك تتأفف من وجود ابن ممثل بين حاشيتها • أما بعد نجاح « المربية العجوز » نجدها قد علقت به الى حد دعاها لمد اقامتها شهرين فى شاتسورث كى تكون على مقربة منه •

كانت المنافسة بين المسرحين القائمين فى لندن فى ذلك الوقت على أشدها ، وكان نجاح احدى الروايات على خشبة كوفنت جاردن معناه خسارة جسيمة للمسرح المنافس دروري لان Drury Lane الذى كان يشرف عليه جاريك • لذا كان نجاح « المربية العجوز » ضربة معجزة لجاريك عميد الممثلين الانجليز فى ذلك الوقت ، لدرجة قيل معها « ان المربية العجوز عجلت بأجل الممثل العجوز » • وبالفعل وقع جاريك مع شريدان فى ٢٤ يونية سنة ١٧٧٦ اتفاقا آلت بمقتضاه ملكية نصف مسرح دروري لان الى شريدان وشريكيه توماس لينلى والطبيب جيمس فورد • وما لبث شريدان أن اشترى النصف الآخر بعد عامين •

خلال الشهور الأولى من ادارته للمسرح لم يتقدم شريدان بمسرحيات جديدة واكتفى فترة من الوقت باستعادة المسرحيات التى كان يقدمها جاريك • وكانت هذه الفترة كافية كى يلتقط أنفاسه ليخرج الى العالم بعدها بمسرحيته الذائعة الصيت « مدرسة

الفضائح The School For Scandal ويخطىء من يظن أن هذه المسرحية البالغة الحبكة والوثيقة التركيب ، كانت وليدة جهد جهيد من التفكير • فما زال هناك من المخطوطات ما يدل على أن المسرحية كانت فى الأصل مسرحيتين أدمجتا معا ، كما ان شريدان كان يكتب المناظر الأخيرة فى الرواية وهو فى سباق مع الزمن • ولما عرضت الرواية لأول مرة فى الثامن من مايو سنة ١٧٧٧ بلغ من حدة تصفيق النظارة لها ، أن بعض المارة بالخارج جروا بعيدا ظنا منهم أن جدران المسرح تهدد بالانهيار • ومن نافلة القول أن هذه المسرحية مازالت محتفظة بجدارتها حتى الآن ، بل انها لتعد باجماع الآراء أعظم مسرحية من «مسرحيات السلوك Comedy of Manners فى الأدب الانجليزى •

وفى عام ١٧٧٩ أضاف شريدان رواية أخرى الى قائمة رواياته وهى : « الناقد The Critic » • وفيها يسخر من المسرح المعاصر والقائمين عليه ، ولا يستثنى نفسه من هذا التهكم • اذ عرض بنفسه حين عمد الى « تنقية » رواية فانبره Vanbruqh المسماة « النكسة The Relapse » معدلا عنوانها الى « رحلة الى سكاربرا A Trip to Scarborough » • وكانت رواية « الناقد » هى خاتمة الأعمال المسرحية ذات القيمة التى كتبها شريدان وقد بلغ عمره آذ ذاك ثمانية وعشرين عاما •

تحول شريدان بعد ذلك الى السياسة وأصبح عضوا فى البرلمان عام ١٧٨٠ وأصبح فيما بعد أحد دعاة حزب الهويج Whig فخطب مدافعا عن تشارلس جيمس فوكس Charles James Fox (وكان فوكس قد اتهم بافشاء سر زواج ولى العهد من سيدة سبق لها الزواج من قبل مسز فيتزهربرت Mrs. Fitzherbert) • كذلك دافع شريدان عن موقف حزب الهويج فى محاكمة وارن هيستنجز Warren Hastings المشهورة فى التاريخ • وقد كان من نجاح شريدان وبلاغته أن احتفظ لنفسه بمكانة أدبية فى عداد الخطباء الى جانب المكانة التى حققها لنفسه فى تاريخ المسرح الانجليزى • ومع ذلك فقد عاش شريدان الفترة الباقية من حياته حتى مات عام ١٨١٦ فى عسر وضنك • فقد كان الفضل الأول فى نجاحه يعود الى زوجته الأولى اليزابيث لينلى التى كانت تزجى اليه النصح ، وتنظم أحواله المالية ، ولكنها ماتت بالسل فى الثامنة والثلاثين من عمرها تاركة زوجها تتحكم فيه أهواؤه •

وقد كانت حدة شريدان العاطفية هى احدى نقط الضعف الرئيسية فى حياته الخاصة ، أضف الى ذلك أنه كان متقلب الأهواء • فكان يبدو مثلا أن حبه لزوجته الأولى اليزابيث لينلى قد ملك زمام قلبه ، وتنبىء الخطابات التى تبادلها معها بعد خمسة عشر عاما من زواجهما أن حبهما لم ينضب • ومع ذلك نجده يسلاها بعد ذلك ويقع فى حب Lady Duncannon أخت الدوقة ديفونشير • وقد أمكن تفادى هذه الفضيحة الاجتماعية بسفر عشيقته الى

ايطاليا • الا أن خطاباته اليها ـ وزوجته ما زالت على فراش المرض ـ لها نبرة عاطفية تفشى حبه المكنون • كانت وفاة زوجته اليزابيث لينلى هى بداية النهاية بالنسبة لشريدان • وظل طيلة خمسة وعشرين عاما فى تدهور تدريجى بطىء • وقد تعرف خلال هذه الفترة بالوصى على العرش Prince Regent وأصبح محظيا لديه كما عامله زعماء حزب الهويج Whig باحترام •

وتزوج شريدان مرة ثانية من استر أوجل Esther Ogle ولكنها كانت أشد منه اسرافا • كان مورد ماله الرئيسى هو دخل مسرح دروري لان Drury Lane • ولكن المسرح كان فى بعض الأوقات التزاما أكثر منه موردا • فقد كان عليه أن يجدد بناء المسرح فى عام ١٧٩١ وزادت التكاليف عما كان مقدرا لها بما يعادل سبعين ألفا من الجنيهات • ولكن شريدان تمكن من التغلب على هذه العقبة وأعيد فتح المسرح عام ١٧٩٤ • ولكنه ووجه بأزمة أخرى بعد خمسة عشر عاما لم يستطع أن يصمد لها • اذ احترق المسرح عن آخره • واضطر شريدان الى الاستعانة ببائع الخمور صمويل وايتربرد Samuel Whitbread كى يموله • وقد وافق الأخير على ذلك ولكنه منع شريدان من ادارة المسرح • وفى عام ١٨١١ نفض الوصى على العرش يده من شريدان ، وتبع ذلك أن هجره زعماء حزب الهويج Whig ، وانفض عنه أصدقاؤه • ومات شريدان عام ١٨١٦ مهجورا فى لندن ، غير أن جنازته شيعت فى احتفال مهيب •

٣ ـ منزلة شريدان المسرحية

ما زالت مسرحيات شريدان تجد طريقها الى المسرح حتى الآن. وبلغ من رواج هذه المسرحيات أن مسرحية « الغرماء The Rivals » التى نقدم لها عرضت فى مسلسلة تلفزيونية ضمن روائع المسرح على شاشة التلفزيون البريطانى فى ربيع عام ١٩٦٣ . ولعل أكبر دليل مادى على رواج شريدان على المسرح منذ وفاته حتى الآن هو ما ذكر عنه فى « تقويم المسرح Who's Who in the Theatre » حيث نجد احصاء للمسرحيات الانجليزية التى عاشت على المسرح منذ أقدم العصور حتى الآن. نستنتج من هذا التقويم أن مسرحية « مدرسة الفضائح The School for Scandal » لشريدان تجىء فى المرتبة الثالثة بعد روايتى شكسبير « روميو وجوليت Romeo and Juliet » و « كما تحبها As You Like It » وذلك من حيث عدد المرات التى عرضت فيها هذه الروايات على المسرح . وتجىء «مدرسة الفضائح» فى نفس المرتبة مع رواية «عطيل Othello» لشكسبير . وجدير بنا أن نلحظ هنا أن شكسبير سبق شريدان بنحو مائة وخمسين عاما .

ولسنا نعنى بذلك أنَ شريدان وصل الى نفس المستوى المسرحى الذى وصل اليه شكسبير . غير أنهما اتفقا معا فى ناحية رئيسية أدت الى وضعهما فى أعلى القائمة من ناحية مرات العرض على المسرح . اذ أن كلا منهما كتب رواياته أولا وقبل كل شىء كى

تمثل على خشبة المسرح لا كى تقرأ فى الكتب ، بل ان شريدان لم يبذل أدنى محاولة لنشر مسرحياته فى صورة كتب ـ وقد كانت لديه الامكانيات لذلك اذا أراد • وبطبيعة الحال كان لذلك أثره على أسلوب شريدان فى التأليف • فقد كتب مسرحياته وهو يدخل فى حسابه أنها للرؤية وليست للتصور الذهنى • اذ أن جمهوره هو « النظارة » وليس « القراء » • وبين هؤلاء وأولاء بون شاسع • فالنظارة يعتمدون على الكلمة المسموعة والمنظر المرئى • بينما يعتمد قراء الأدب عموما على الكلمة المطبوعة والتصور • كما ان المسرح يتطلب أن تواجه الشخوص بعضها البعض فيما يؤدى الى قيام موقف درامى ، بينما لا تتطلب بعض الأنواع الأدبية الأخرى مثل هذه المواجهة • وعلى كاتب المسرحية الممثلة مسئولية قد لا تتطلب من كاتب الأدب المقروء • وهى أن يركز سرد حوادثه فى فترة محددة من الزمن وأن يكون من اللباقة والمهارة بحيث يشد اليه انتباه النظارة طيلة هذه الفترة • لذا كان ضروريا على الكاتب المسرحى أن يضبط حبكته القصصية كى يستثير شوق النظارة ، وأن يكون سرده واضحا بحيث يتفهمه النظارة على اختلاف مستوياتهم فى هذه الفترة المحدودة من الزمن •

ومن هنا كان شريدان أديبا مسرحيا بلا منازع • فسرده للأحداث يتسم بالحبكة والوضوح ، كما ان ادارته للحوار تدل على البراعة • غير أن أهم ما يتميز به فن شريدان المسرحى هو قدرته على خلق المواقف • وهذه قدرة واضحة فى رواياته الثلاث الرئيسية «الغرماء»

و « مدرسة الفضائح » و « الناقد » • ولعل أشهر المواقف التى خلفها شريدان هو موقف « منظر الستار الحاجز The Screen Scene » فى « مدرسة الفضائح • بل ان هذا الموقف هو أشهر المناظر فى أدب المسرح الانجليزى عامة باستثناء « منظر الشرفة The Balcony Scene فى رواية شكسبير « روميو وجوليت Romeo and Juliet ولقد قيل ان تأثير الموقف المسرحى يكون بالغا كلما كان ادراك النظارة لزواياه أوسع من ادراك الشخوص أنفسهم الذين يكونون أركانه • ولعل هذا ينطبق أشد الانطباق على « منظر الستار الحاجز » • وينطبق هذا أيضا فى مسرحية « الغرماء» التى نعرض لها على المنظر الثالث من الفصل الثالث • فى هذا الفصل يلعب كابتن أبسوليوت Captain Absolute دورا مزدوجا • اذ يتقدم للخالة مسز مالابروب Mrs. Malaprop خاطبا ابنة أخيها ليديا لانجوس Lydia Languish وذلك بوصفه الحقيقى ، بينما تقابله ليديا وتلقى بنفسها فى أحضانه على أنه الضابط البسيط بيفرلى Beverly ، وهو الاسم الذى انتحله لنفسه كى تحبه • وبينما يدرك النظارة ازدواج شخصية الكابتن ، لا تدرك كل من مسز مابروب وابنة أخيها هذه الزاوية من الموقف • وهذا الموقف يفقد نصف قيمته مقروءاً ، ولكنه يبرز جوانبه اذا عرض على المسرح ، حيث ندرك أهمية توزيع الممثلين وأوضاعهم على خشبة المسرح ، وما لذلك من صلة وثيقة بطبيعة الأدوار التى يقومون بها •

ونقدم دليلا آخر على أهمية جانب الابصار فى مواقف شريدان المسرحية • فنشير الى منظر فى رواية « الناقد » يهاجم فيه العمّان وبنتا العم الدوق وسكراندوس Whiskerandos فيكتب شريدان هذا التوجيه للاخراج :

«تسحب البنتان خنجريهما لطعن وسكراندوس •
وفى الحال يجذب العمان الابنتين من ذراعيهما ،
ويوجهان سيفيهما الى وسكراندوس وهذا بدوره
يسحب فى الحال خنجرين ليوجههما الى البنتين» •

مثل هـذا الموقف لا يمكن أن يحـدث الا على خشبة المسرح ، ولا يمكن تصوره بدقـة الا برؤيا العين • فهـو منظر يهـدف الى الاضحاك عن طريق الحركات المرئية لا أكثر ولا أقل •

واذا كان اهتمام شريدان بالجوانب « المسرحية » فى تأليفه قـد ضـمن له الخـلود على المسرح الا أن ذلك كان على حساب العمق الفكرى والنفسى من ناحية ، وعلى حساب الواقعية والتطور الطبيعى للأحداث من ناحية أخرى • فمعظم شخصياته الرئيسية ليست الا أنماطا كأنما صبت فى قوالب ، أو شخوصا لهـا لزمات معينة تتميز بها ويمكن التنبؤ بتصرفاتها • وهو فى هذا على النقيض من شكسبير الذى تعتبر شخوصه دراسات متفردة فى الطبيعة البشرية ، وليست أنماطا متكررة • كما ان الحوادث التى تدور حولهـا مسرحيـات

شريدان لا يمكن أن تقع الا على خشبة المسرح ، وبعض مواقفه بلغت بها الحبكة القصصية درجة باعدت بينها وبين الواقع • ولعل هذا هو الذى دعا النقاد الى تسمية هذا النوع من المسرحية « بالكوميديا المصطنعة Artificial Comedy » •

٤ ـ مسرحية الغرماء « The Rivals

لعل نجاح رواية جولد سميث Goldsmith « انها تتمسكن لتتمكن She Stoops to Conquer » على مسرح كوفنت جاردن Covent Garden هو الذى دفع كولمان Colman مديره الى قبول مثيلتها « الغرماء » • وكان أحرى بشريدان أن يختار لروايته عنوانا « انه يتمسكن ليتمكن » على غرار عنوان رواية جولد سميث • فالمسرحية بالفعل تدور حول محاولة كابتن جاك ابسوليوت ابن الثرى سير أنتونى استدرار حب دودة الكتب ليديا لانجوش Lydia Languish وتوسله لذلك بمختلف الوسائل • وقد كانت ليديا تؤثر أن تتزوج رجلا من عامة القوم تحبه على أن تتزوج من تختاره لها عمتها مسز مالابروب Mrs. Malaprop رغم أن ذلك يعرضها للحرمان من الميراث • لذا حاول جاك ارضاء هذه النزوة فيها بانتحال صفة ضابط بسيط باسم بيفرلى Beverly وفي الوقت نفسه نجد أباه سير أنتونى وعمة ليديا مسز مالا بروب يحاولان تزويجه للفتاة بصفته الحقيقية • وينجم عن هذا الموقف سلسلة من الالتباسات والمناوشات •

فجاك أبسوليوت يستفز والده حين يرفض الفتاة التي يرشحها له، ولكنه يعلن الانصياع حين يعلم من المصادر الخلفية أن هذه الفتاة ليست الا ليديا لانجوش التي يستهيم بها • وترحب مسز مالا بروب العمة بالكابتن أبسوليوت الذى يخادعها طالبا منها مقابلة ليديالانجوش على أنه المزعوم بيفرلى • وتقع مسز مالا بروب فى الشرك وتهيىء المقابلة • ومسز مالا بروب مغرمة باستخدام الالفاظ الضخمة التى تستغلق عليها معانيها ، وهى تهدف من ذلك الى مجاراة الطبقة الاستقراطية فى مدينة بات Bath ، وان كان يعوزها التعليم الصحيح الذى يهيىء لها ذلك • وندرك فى نهاية الرواية أنها متيمة بحب سير لوسياس أوترجر Sir Lucius O'Trigger الذى يراسلها ظنا منه أنه يكتب الى الفتاة الرائعة الجمال ليديا لانجوش ، ولايدرك أن الخادمة تعبث به ، فتحمل رسائله الى الخالة العجوز •

وثالث الغرماء المتهافتين على ليديا هو بوب أيكرز Bob Acres الذى يتأنق فى هندامه ، وينتقى كلماته كى يحظى بها • ويقنعه سير لوسياس بأن يدعو غريمه جاك أبسوليوت للمبارزة • وكان جاك أبسوليوت فى نوبة يأس دفعته لقبول هذه المبارزة ، اذ حين اكتشفت ليديا خدعته لم تشأ أن تستمر فى حبها له ، وألقت بصورته قائلة أنها تنتزع الأصل أيضا من قلبها • وأصبح موقف المحبين عجيبا حقا • اذ بينما طبيعة الأمور تقضى بأن يسعد المحبان حين يوافق أهلهما على زواجهما ، نجد الأمر على نقيض ذلك فى مسرحية شريدان • يرادف هذا أيضا ما نجده فى موقف الحبيبين جوليا

وفولكلاند اللذين أقحمت قصتهما اقحاما فى المسرحية • فحين يعلم فولكلاند أن جوليا Julia كانت مبتهجة تغنى وترقص أثناء غيابه فى ديفونشير ، يحس بالغيرة ويلومها لوما شديدا حتى تبكى • وأخيرا يقرر فولكلاند Faulkland أن يمتحن اخلاصها • فحين يطلبه جاك أبسوليوت ليؤازره فى المبارزة يذكر فولكلاند لحبيبته جوليا أنه اشتبك فى عراك سيضطر معه أن يغادر انجلترا كلية • فتعلن جوليا أنها لن تتركه وأنها ستهرب معه •

حينذاك يطمئنها فولكلاند شارحا لها أنه كذب عليها ليمتحن اخلاصها • ويتكرر ما حدث فى موقف ليديا وأبسوليوت • فبدلا من أن تأخذ جوليا حبيبها بالأحضان نجدها تعلن :

ـ لقد وضح لى الآن أن القناعة والثقة فى الحب ليستا من شيمك • ومادمت مقتنعة بذلك فلن أكون لك أبدا •

أصبح الأحباء منذ هذه اللحظة على خلاف مع أحدهما الآخر • ومن عجب أن المبارزة التى دعا اليها سير لوسياس أوترجر هى التى تنقذ الموقف • فبينما توشك هذه المبارزة أن تتم يصيح أحد خدم بوب أيكرز «قتيل ! حرامى ! حريق !» ويطلب الى سير أنتونى أبسوليوت أن يوقف المبارزة الدموية • ويصل سير انتونى فى الوقت المناسب • ومعه مسز مالابروب والفتاتان ليديا وجوليا • وهنا ينجلى الأمر ويوضع كل شىء فى نصابه • ويشرب السير انتونى نخب المحبين ، ونخب الزوج المتمنى لمسز مالا بروب •

ليست مسرحية « الغرماء The Rivals » هى أفضل مسرحيات شريدان • ولكنها مع ذلك تضم أهم ميزات شريدان المسرحية ، فضلا عن أنها تضم العناصر الذاتية التى عكست حياة شريدان نفسه ، كما انها تعد وثيقة اجتماعية ذات بال •

أما عن الناحية الذاتية فى المسرحية فقد ذكرنا آنفا أن سير أنتونى أبسوليوت يستمد كثيرا من صفاته من توماس شريدان والد ريتشارد كاتب المسرحية • كما ان مسز مالابروب بنيت شخصيتها على غرار مسز تايفورت Mrs. Tyfort فى المسرحية التى كتبتها والدته بعنوان « رحلة الى باث A Journey to Bath » ولعل مغامرات جاك أبسوليوت Jack Absolute فى مدينة باث واشتراكه فى المبارزة مستمدة الى حد ما من موقف شريدان نفسه حين قادته الظروف الى مبارزة العجوز ماثيوز حبيب اليزابيث لينلى المخذول •

ولعل ماثيوز العجوز هو الأصل الواقعى لبوب ايكرز فى المسرحية التى نقدم لها •

وتعد مسرحية « الغرماء » وثيقة اجتماعية للعصر • اذ أنها تصور الى حد كبير الحياة فى مدينة باث التى كانت فى ذلك الوقت مصيف الأشراف والطبقة الثرية ـ تلك الطبقة التى كان سلوكها مصطنعا وكان لا هم لها الا الانغماس فى الحب • غير أن قيمة الرواية من الناحية الاجتماعية ترجع الى أسباب أخرى أكثر أهمية • أولها

سخرية شريدان من الفوارق الطبقية المصطنعة ، وخاصة من أصحاب الألقاب الموروثة ؛ وهى سخرية لم تكن لتجد صدى لدى النظارة لولا أن الانقلاب الصناعى الذى أشرنا اليه كان قد هيأهم لذلك . فكابتن أبسوليوت يتحاشى ذكر الحسب والنسب ، بل انه لينتحل لنفسه صفة رجل من العامة كى يظفر بيد حبيبته . ومن ناحية أخرى تمثل مسز مالابروب الثراء البورجوازى الذى لا تدعمه الثقافة . فهى تتكلف فى عباراتها وألفاظها ولكن جهلها يفضح ويثير الضحك . وهى فى ذلك شبيهة لشخصيات كثيرة فى أدب القرن الثامن عشر مثل مسز سليب سلوب Mrs. Slipslop فى قصة هنرى فيلدنج « جوزيف أندروز Joseph Andrews » ، أو لمسز هاردكاسل Mrs. Hardcastle فى مسرحية جولدسميث « انها تتمسكن لتتمكن She Stoops to Conquer » .

وأهم من هذا كله وضع الفتاة ليديا لانجوش التى تمثل الفتاة الانجليزية فى القرن الثامن عشر . اذ هى تسعى للثقافة التى طالما حرمت منها ، وان كانت قراءاتها تنحصر فى الروايات الرومانسية . وهى أيضا تود اختيار زوجها بنفسها رغم أن ذلك يعرضها لغضب العائلة والحرمان من الميراث .

كانت المرأة الانجليزية لم تتحرر بعد ، وكان تعليمها أو تثقيفها أمرا لا يتفق مع الذوق الارستقراطى . اذ كان من ضرورات الارستقراطية أن تكون المرأة « بيضة خدر » و « نؤوم ضحى »

لا تجهد نفسها بعمل أو تفكير • وظهور ليديا لانجوش فى أدب هذه الفترة يشير الى التغير فى وضع المرأة الذى كان قد بدأ حينذاك والذى انتهى بظهور مارى وولستونكرافت Mary Wollestonecraft محررة المرأة الانجليزية فى أواخر القرن الثامن عشر •

وليس معنى هذا كله أن شريدان كتب روايته « الغرماء » بغرض الدعاية الاجتماعية ، وانما نحن نستنبط هذه المدلولات الاجتماعية منها استنباطا • فقد كان هدف شريدان الأول من كتابة المسرحية هو الامتاع المسرحى • وهو من هذه الناحية قد حقق نجاحا كبيرا •

دكتور
عادل سلامة
مدرس الأدب الانجليزى
جامعة عين شمس

مسرحيـــة الغرماء
اشخاص المسرحيـــة

Sir Antony	سير أنتونى أبسوليوت
Captain Absolute	كابتن أبسوليوت
Faulkland	فولـــكلاند
Acres	أكـــرز
Sir Lucuis O'Trigger	سير لوشيوس أوتريجـــر
Fag	فـــــاج
David	دافيـــــد
Coachman	سائق العربة
Mrs Malaprop	مسز مالابروب
Lydia Languish	ليـــديا لاتجويش
Julia	جوليـــا
Lucy	لوسى

فـــتاة — فتى — خـــدم — الخ

المنظـــر

Bath.	مدينـــة بـــاث

الفصل الأول

المنظر : شارع فى مدينة باث ، السائق يعبر المسرح — يدخل فاج ناظرا خلفه .

فاج : من ! توماس ! أحقا هو ؟ مدهش ! توماس ؟ توماس .

سائق العربة : أهلا ! يا للعجب ! مستر فاج ! هات يدك يا زميلى القديم فى الخدمة .

فاج : لا تؤاخذنى على أن قفازى فى يدى يا توماس ! اننى فى غاية السرور لرؤيتك يا فتى عجبا . أمير السائقين انك لتبدو فى خير عافية . لكن ياللشيطان — من الذى كان يتوقع أن يراك فى باث ؟

السائق : الواقع — ان سيدى ومدام جوليا وهارى ومسز كيت وحتى السائس قد حضروا جميعا .

فاج : حقا !

السائق : أجل ! لقد حسب سيدى أن نوبة أخرى من نوبات النقرس كانت آتية لزيارته ! فقرر الهرب فورا . وما أن لعلع السوط حتى كنا قد رحلنا ولما تمض على انذارنا ساعة واحدة .

حـــاج : نعم • نعم : عَجول فى كل شىء ! والا فلن يكون هو السير انتونى أبسوليوت •

السـائق : ولكن خبرنا يا مستر فاج كيف حال السيد الصغير؟ يا للعجب ! كم سيحملق سير أنتونى عندما يرى الكابتن هنا !

فـــاج : أنا لست فى خدمة كابتن أبسوليوت الآن !

السـائق : كيف ؟ أحقيقى ذلك ؟

فـــاج : فى الوقت الحاضر أنا أشتغل لدى الملازم بيفرلى !

السـائق : أشك يا مستر فاج فى انك قد بدّلت بالأفضل !

فـــاج : أنا لم أبدل أحدا يا توماس !

السـائق : كيف لا وقد قلت انك لست فى خدمة السيد الصغير ؟

فـــاج : كلا ـ حسنا ـ لا ينبغى لى أن أطيل حيرتك أيها الأمين توماس ! بكل اختصار ـ ان الكابتن أبسوليوت والضابط بيفرلى هما شخص واحد ليس غير ! •

السـائق : يا للشيطانين !

فـــاج : انهما كذلك فعلا يا توماس ! وبما أن جانب

الملازم من سيدى فى نوبة حراسة الآن ، فلا شأن لى بجانب الكابتن منه .

السائق : كذا ! كذا ! ـ أقطع بأن هذه نزوة خيال ! فلتخبرنا يا مستر فاج عن معنى ذلك . أنت تعلم أنى كنت دائما أثق بك .

فاج : أتكتم السر يا توماس ؟

السائق : كما يكتمه جواد العربة !

هاج : حسنا . اذن فاعلم ان سبب كل ذلك هو الحب ـ الحب يا توماس وهو ـ كما لا بد أن أحدا قد قرأ لك ـ ذلك العابث المقنّع من عهد جوبيتر اله الآلهة الى الآن !

السائق : أى نعم . أى نعم . لقد حذرت أن فى الأمر سيدة ... ولكن أرجو أن تخبرنى لم يقنع سيدك برتبة ملازم ؟ بينما لو اتخذ رتبة جنرال فى الواقع .

فاج : آه . هنا يا توماس يكمن سر الموضوع . أصغ يا توماس . أن سيدى يعشق امرأة ذات ذوق فريد . انها تؤثره ملازما على الاستيداع يتقاضى نصف مرتب فقط على أن يكون الابن والوارث

الوحيد للسير أنتونى أبسوليوت ذلك البارون الذى ايراده السنوى ثلاثة آلاف من الجنيهات .

السائق : ان هذا لذوق شاذ حقا ! ولكن هل المادة متوفرة لديها يا مستر فاج ؟ هل هى غنية ؟ هيه ؟

فاج : غنية ! وهل فى ذلك شك ! انى أعتقد انها تملك نصف السندات كلها ! ياللشياطين.توماس ! انها تستطيع أن تسدد الدين الوطنى بنفس السهولة التى أسدد بها أنا أجر الغسالة التى تغسل ملابسى ! ان كلبها الأليف يأكل فى أوانى من الذهب ـ وانها لتطعم ببغاءها حبات اللؤلؤ الصغيرة . وان الورق الذى يُلَف عليه خيطها لهو من ورق البنكنوت !

السائق : برافو ! يا للعجب ! انى أقطع بأنها تملك عدة آلاف من الجنيهات على الأقل ـ ولكن هل تظهر عاطفة نحو الكابتن ؟

فاج : هما أحب من حمامتين !

السائق : هل يمكننى أن أعرف اسمها ؟

فاج : مس ليديا لانجوِش ـ فقط تقف فى طريقهما عمة عجوز صلبة ! وهى مع ذلك لم تر سيدى أبدا . وذلك لأننا تعرفنا على الآنسة أثناء زيارة الى جلوسترشابر !

السائق : حسنا • أتمنى لو ربطهما الزواج حالا !!! لكن خبرنى يا مستر فاج ! أىّ نوع من البلاد باث هذه ! لقد سمعت عنها الكثير ••• يقال انها ممتلئة أعيادا وحفلات ومسرات هيه ••• أليس كذلك ؟

فاج : جميلة جدا • يا توماس • جميلة جدا • انها بلد الاسترخاء والكسل ! فى الصباح نتوجه الى عيون المياه المعدنية ولو انه لا سيدى ولا أنا نشرب المياه المعدنية اطلاقا وبعد الافطار نمضى نتسكع على جانب الطرق أو نلعب شوطا من البليارد وفى الليل الرقص ! ولكن لعنة الله على هذا البلد لقد سئمته • الساعات المحددة تكاد تفقدنى عقلى •• بعد الساعة الحادية عشرة لا رَنّة وتَر • ولا ورق لعب • بيد أن خادم مستر فولوكلاند الخاص وأنا نسرى عن نفسينا فى الحفلات الخاصة ! وسوف أقدمك هنا لك يا توماس • وأنا على ثقة من أنك ستحبه كثيرا •

السائق : مؤكد ! أنا أعرف مستر دوبينى •• ولكن هل تعلم أن سيده سيتزوج السيدة جوليا •

فاج : لقد كنتُ ناسيا ! ولكن • توماس ! ينبغى أن تهندم نفسك قليلا حقا ينبغى ذلك • والآن انظر •

هذه الضفيرة مثلا • بحق الشيطان ماذا تفعل بها يا توماس ؟ انه لا يوجد فى لندن كلها الآن سائق واحد له وزن يلبس هذه الضفائر !

السائق : هذا شيء مؤسف ؟ أقول هذا شيء مؤسف ! يا للعجب العجاب !
عندما سمعت أن المحامين والأطباء اقتصروا على شعرهم الأصلى فقد حزرت ما سيأتى بعد ذلك • وأول ما وضعت هذه البدعة قدمها على أرض المحكمة علمت انها ستمتطى مَنَصَّة القضاء أيضا ! ولكن صدقنى يا مستر فاج • ان ذلك كله ليس من الأخلاق فى شيء ثم ليكن فى علمك • انى لن أخلع ضفيرتى أبدا وليفعل المحامون والدكاترة ما يشاؤون !

فاج : مهلا يا توماس فنحن لن نتشاجر من أجل ذلك !

السائق : علام نتشاجر • حفظك الله • ان السادة أرباب تلك المهن ليسوا جميعا على رأى واحد ففى قَريتنا الآن جاك جوج محصل الضرائب الذى التزم شعره المرسل الأحمر وفيها ذلك البيطار القصير الذى أقسم أن لن يفارق ضفيرته أبدا ولو خرج رجال الجامعة طراً برؤوسهم عارية من كل شيء !

فـــاج : حقيقةَ • ما أصدق ما قلت يا دك ! لـكن صـه ! انظر يا توماس !

السـائق : يا للشيطان • انه الـكابتن • هل هى تلك السيدة التى برفقته ؟

فـــاج : لا • لا هذه السيدة وصيفة خطيبة سـيدى ! هم يقطنون ذلك المنزل ـ ولكن لا بد أن أُلحق به لأُبلغه الأنباء ••••

السـائق : ياللعجب ! أنه يناولها نقودا ! حسنا • مستر فاج •

فـــاج : الى اللقاء يا توماس • عنـدى موعد هذا المساء فى الساعة الثامنـة فى منتدى جايدز ـ قابلنى هنـاك وسنقيم حفلة صغيرة !

(يخرجان متفرقين) •

المنظر الثـــانى

غرفة الملابس فى منزل مسز مالابروب ــ ليـــديا جالسة على مقعـــد والكتـــاب فى يدها . لوسى عائدة لتوها من مهمة .

لـــوسى : أؤكد لك يا سيدتى انى قطعت نصف المدينة كلها بحثا عنه • لا أظن أن فى باث كلها مكتبة للاعارة لم أدخلها •

ليـــديا : ولم تستطيعى أن تعثرى على كتاب «جزاء الوفاء» ؟

لـــوسى : أبدا • مطلقا • يا سيدتى !

ليـــديا : ولا « العلاقة المحتومة » ؟

لـــوسى : أبدا • مطلقا يا سيدتى !

ليـــديا : ولا « أخطاء الفؤاد » • ؟

لـــوسى : لسوء الحظ يا سيدتى قال لى مستر بول ان مس سوكى سونتر قد سبقت فاستعارته •

ليـــديا : أف لها • وهل بحثت عن كتاب «الأسى الرقيق» ؟

لـــوسى : ••• (مذكرات لادى ودفورد) ؟ نعم سـيدتى بحثت • لقد سألت عنه فى كل مكان • ولقد كان فى وسعى أن أحضره من مكتبه مستر فردريك لولا أن اللادى سلاتيرن لاونجر التى كانت قـد

أخذته لبيتها تواً ردّته قذرا مثنى الصفحات الى حد أصبحت معه قراءته غير جديرة بمسيحية !

ليديا : أف لها ! نعم ! انى دائما أعرف اذا كانت لادى سلاتيرن قد سبقتنى ! ان لديها أبهاما شديد اللصوق ! وانى لأعتقد انها انما تُعنى بأظافرها كى تستعين بها فى اثبات ملاحظاتها الهامشية ! والآن • يا فتاة • ما الذى أحضرت اذن ؟

لوسى : آه • أحضرت يا سيدتى (تأخذ كتبا من تحت ثوبها ومن جيوبها) هذا هو «العُقْدة المستعصية» وهذا « اقتناص الهاجر » وهنا أيضا « دموع الحساسية » و « همفرى كلينكر » وهذا هو «مذكرات سيدة ذات شأن ،كتبتها بنفسها» وهنا كذلك المجلد الثانى من «الرِّحْلة العاطفية»•

ليديا : أف لك ! وما تلك الكتب التى الى جانب الكوب ؟

لوسى : هذا الكتاب الكبير هو « واجب الانسان كاملا » حيث احتفظ بداخله ببعض خصلات الشعر الأشقر •

ليديا : حسنا جدا ! اعطنى الـ « سال فولاتايل » •

لوسى : هل هو الكتاب ذو الجلدة الزرقاء يا سيدتى ؟

ليديا : هو الزجاجة التى أتنشق منها يا بلهاء !

لـــوسى : آه .. النّقَط ! هذه هى يا سيدتى .

ليـــديا : صه ! هنالك شخص قادم ! أسرعى انظرى من هو؟

(تخرج لوسى) .

لا ريب انى سمعت صوت ابنة عمى جوليا !

(تدخل لوسى) .

لـــوسى : يا لله ! يا سيدتى . هذه مس ملفيل !

ليـــديا : أممكن ذلك ؟

(تدخل جوليـــا) .

ليـــديا : عزيزتى جوليا . ما أشد بهجتى بلقائك (يحتضنان) ما أقل ما كنت أتوقع هذه السعادة !

لـــوسى : حقا . ليديا ـ ان سرورى لأكبر ! ولكن ماذا كان هنالك ؟ لقد أنكروا وجودك أول الأمر .

ليـــديا : آه يا جوليا . ان لدىّ آلاف الأشياء أودّ ابلاغك اياها ! ولكن حدثينى أولا ما الذى جاء بك الى باث ؟ هل سير أنتونى هنا ؟

جوليـــا : نعم . لقد وصلنا هذه الساعة توا . وأحسب أنه سيحضر الى هنا ليصحب مسز مالابروب بمجرد ارتدائه ملابسه .

اذن • قبل أن يقاطعنا أحـد • دعينى أبثك بعض

ليـديا : شجنى • وانى أعلم أن رقة طبيعتك ستدفعك الى العطف علىّ « ولو أن حزمك قد يدينني • لقـد أنبـأتْك خطـاباتى بكل العـلاقة التى بينى وبين بيفرلى •• ولـكنى قـد فقدتُه يا جوليـا ! لقـد كشـفَت عمتى لقاءنا من خطاب وقع فى يدها ومنذ تلك اللحظة أغلقت على الأبواب ومع ذلك هـل تصدقى ؟

لقـد وقعت هى نفسها ضحية غرام بارون ارلندى طويل القامة لم تقابله الا ليلة واحدة منـذ أن كنا هنا فى حفلة لادى ماكشوفل •

جوليـا : انت غير جادة يا ليديا !

ليـديا : لا • وأيم الحق • وانهـا لتوالى مراسـلته تحت اسـم مستعار الى أن تأتى الفرصـة للاباحـة عن نفسها • وأؤكد لك ان ذلك الاسم هو دليـا أو سيليـا !

جوليـا : اذن فهى الآن بغير شك أكثر عطفا على ابنة أخيها!

ليـديا : العكس تماما ! منذ أن اكتشفت ضـعفها الشخصى اشتدت رَيبتها فىّ ! ثم ان هنالك بلاء آخـر ! ذلك الرجل الفظيع اكَرز سـيكون هنـا فى باث

اليوم ! انى لأكاد أنفجر من الغيظ الذى سيفقدنى صوابى .

جوليا : مهلا ـ مهلا ـ ليديا ! توقعى خيرا .... ان سير أنتونى سوف يستغل علاقته بمسز مابروب .

ليديا : ولكنك لم تسمعى بعد ما هو أسوأ من الجميع .. لقد شاء سوء الحظ أن أتشاجر مع عزيزى بيفرلى قبيل أن تكشف عمتى علاقتنا ومنذ ذلك الوقت لم أره كى أصلح ما شجر بيننا .

جوليا : ماذا ارتكب من خطأ ؟ .

ليديا : لا شىء اطلاقا ! ولا أدرى كيف كان ذلك ونحن لم نتشاجر من قبل قط . ولكن الذى حدث هو انى خفت أن لا يتيح لى هو الفرصة لمشاجرة معه فحررت أنا يوم الخميس الماضى خطابا أبلغ نفسى فيه ـ أن بيفرلى كان فى ذلك الوقت يغازل امرأة أخرى ... وقد وقّعت على الخطاب بامضاء (صديقك المجهول) ثم اطلعتُ عليه بيفرلى .. واتهمته بالخداع وأثرت فىّ عاصفة من الغضب وأقسمتُ أن لا أراه بعد ذلك أبدا .

جوليا : ولقد تركته ينأى عنك كذا ولم تَريْه منذ ذاك ؟

ليديا : وكان اليوم التالى هو اليوم الذى كشفت فيه عمتى ما بيننا . . لقد كانت نيتى أن لا أغاضبه الا ثلاثة أيام ونصف فقط . أما الآن فقد فقدته الى الأبد.

جوليت : اذا كان جديرا بحبك اياه مخلصا فى حبه لك بالقدر الذى وصفته لى فهو لن يسلوكَ أبدا .. ولكن مهلا يا ليديا .. أنت تقولين انه ملازم بينما أنت ذات ثلاثين ألفا من الجنيهات .

ليديا : ولكنك تعلمين انى أخسر أكثر ثروتى اذا أنا تزوجت دون رضا عمتى حتى أبلغ سن الرشد بيد أن هذا هو الذى اعتزمت عمله منذ أن عَلِمت بذلك الجزاء فلن أستطيع أن أحب الرجل الذى يرضى أن ينتظر يوما واحدا لكى يحصل على الثمن ...

جوليا : لا . ان هذه لنزوة يا ليديا .

ليديا : ماذا أسمع ؟ أجوليا تتهمنى بنزوة ؟ لقد حسبت أن حبيبها فولكلاند قد عودها على مثل ذلك .

جوليا : ما كنت لأحب حتى أخطاءه !

ليديا : ولكن بهذه المناسبة . ألم ترسلَ له خطابا ؟

جوليا : لا . لم أرسل بعد وشرفى — بل انه ليست لديه أية فكرة عن وجودى فى باث . لأن قرار سير

أنتونى كان مفاجئا لدرجة أنى لم أستطع الكتابة اليــه !

ليــديا : حسنا جوليا ـ ولكنك أنت سيدة نفسك (ولو انك تحت وصاية سير انطونى) فهل كنت طيلة هـذا العام المديد عبدة لنزوات ذلك الجـاحد فولكلاند أو لأوهامه أو لغيرته ... بينما هو يفتأ يؤجل الى الأبد الاضطلاع بحقوق الزوج مع انك أنت تتحملينه • متجبرا متحكما بقدر ما تتحملينه محبا •

جوليــا : كلا • أنت مخطئة كل الخطأ •• نحن قد تعاقدنا على الزواج قبل وفاة أبى ولهذا ولبعض ارتباكات أخرى تلتها قد أجلنـا ما أعرف انه أشـد رغبات فولكلاند اضطراما •• وهو أكرم من أن يركب طيشا فى هذا الأمر •• أما عن خلقه فانك تظلمينه هنالك أيضا •• كلا يا ليديا •• انه لأنبل وأعز نفسا من أن يكون غيورا •• واذا كان لواما فانه يفعـل ذلك دون مراءاة واذا كان نكِداً فبِـلا غلظـة •

ولكونه لم يتعود أسـاليب الحب فانه يهمـل تلك الواجبات الصغيرة التى تُنتظر من المحب ولكونه لم يسترسل فى شهواته فان عاطفة حبه مضطرمه مخلصة ولكونها تشغل كل نفسه فانه يتوقـع أن

تأتى كل فكرة من لدن حبيبته وكل خلجة من خلجات نفسها على وفاق معه .. بيد أنه وان كانت كبرياؤه تطالب باستجابة كاملة فان تواضعه يجعله يهوّن من صفاته التى تؤهله لتلك الاستجابة وهو يظل يرتاب فى أنه نال من الحب ما يستحق ، دون أن يستشعر السبب الذى يؤهله للحب بالدرجة التى يطلبها ـ وأنا أقر أن هذا المزاج قد كلفنى ساعات عديدة من الشقاء ولكنى تعلمت أن أعتبر انى مدينة له على النقائص التى نجمت عن حبه المضطرم .

ليديا : حسنا . لن أستطيع أن ألومك لدفاعك عنه . ولكن حدّثينى بصراحة ـ جوليا ! لو أنه لم ينقذ حياتك هل تظنين أنك كنت تتدلهين فى حبه كما أنت الآن ؟ صدقينى .. أن العاصفة الهوجاء التى قلبت القارب الذى كنت فيه هى مصدر الريح الرخاء الذى جلب له الحب والسعادة .

جوليا : قد يكون العرفان بالجميل سببا فى قوة رباط الود بينى وبين فولكلاند ولكنى أحببته قبل أن ينقذنى . ولو أنه لا ريب فى أن ذلك الامتنان وحده كان كافيا ...

ليديا : الأمتنان ؟ علام الامتنان ؟ ان كلبا من الكلاب التى تحسن العوم كان فى وسعه أن يفعل ما فعله هو ! أما أنا فلن أفكر فى أن أعطى قلبي لرجل لمجرد كونه يستطيع العوم .

جوليا : حسبك ليديا .. هذا منك نزق شديد !

ليديا : كلا . انى انما أمزح . ماذا هنالك ؟

(تدخل لوسى فى عجل) .

لوسى : سيدتى ؟ لقد وصل توا الى البيت سير أنتونى أبسوليوت ومعه عمتك ؟

ليديا : انهما لن يأتيا الى هنا ـ هلا راقبت يا لوسى .

(تخرج لوسى) .

جوليا : يجب علىّ أن أخرج . ان سير أنتونى لا يعرف انى هنا . واذا نحن تقابلنا فسيمنعنى عن الذهاب كى يفرجنى على المدينة ! سأنتهز فرصة أخرى أقدم فيها احترامى لمسز مالابروب ـ وأتلقى منها ـ كيفما تشاء ـ كلماتها المنتقاة التى لشد ما يُساء استعمالها دون أن يُساء نطقها .

(تدخل لوسى مرة أخرى) .

لوسى : يالله ياسيدتى ! أنهما كليهما يصعدان السلم الى هنا .

ليديا : حسنا فلن أعوقك يا ابنة العم • أستودعك الله يا عزيزتى جوليا • انى متأكدة أنك عجلى لكى تكتبى الى فولكلاند ـ هناك عبر غرفتى تجدين سلما آخر •

جوليا : وداعا • (يتعانقان)

(تخرج جوليا) •

ليديا : وأنت يا عزيزتى لوسى • خبئى هذه الكتب اسرعى • اسرعى • أرمى « اصطياد الهاجر » تحت مرآة الزينة ـ وألقى بـ « رودريك راندوم » فى المرحاض وضعى « الزنا البرىء » داخل «واجب الانسان كاملا» ـ وارمى «لورد ايورث» تحت المقعد « واحشرى أوفيد » خلف الوسادة هناك • وضعى « الرجل العاطفى » فى جيبك • كذا • كذا • وعرّضى « مسز شابون » للانظار ودعى « مواعظ فورد ويس » مفتوحا على الطاولة ••••

لوسى : آه • فَلْتُحْرَق يا سيدتى • ان الحلاق قد مزق منها لغاية صحيفة « الكبرياء الحقة » •

ليديا : لابأس •• افتحى الكتاب على صفحة «التعفف» •• وناوليني « خطابات لورد شسترفيلد » •• والآن لننتظرهم •

(تدخـــل مسز مالا بروب وسير أنتونى أبسوليوت) .

مسز مالابروب : ها هى هناك يا سير أنتونى . تجلس تلك البلهـاء المتعمِّدة التى تريد أن تجلب العـــار على عائلتها وتُسرف على نفسها من أجل فتى لا يساوى شلنا واحدا .

ليـــديا : سيدتى لقد فكرت أنك ذات مرة ....

مسز مالابروب : أنت فكرت يا آنسة ! لست أعلم أن لك شأنا بالتفكير ! أن التفكير لا يليق بالفتاة ... غير أن الشىء الوحيد الذى نرجوه منك هو أن تعدينا بأن تنسى ذلك الفتى .. أقول أن تقلعية من ذاكرتك نهائيـا .

ليـــديا : عفوا . سيدتى ـ أن ذاكرتنا لا تخضع لارادتنـا وفوق هذا فليس النسيان سهلا الى هذا الحد .

مسز مالابروب : ولكنى أقول أن ذلك سهل يا آنسة ! بل أنه ليس على وجه الأرض شىء أسهل من النسيان متى شاء الانســان أن يمضى فيه ... انى لمتأكدة انى قد نسيت عمكم العزيز المسكين تماما كما لو كان لم يعش من قبل أبدا .. ورأيت أن واجبى هو أن أفعل ذلك .. ثم دعينى أعلمك يا ليديا أن تلك الذكريات العنيفة لا تليق بفتاة .

سير انتونى : فيم الجدل ! أنها بالتأكيد لا تزمع أن تتذكر ماقد أمرت أن تنسى ! كلا . ان هـــذا كله وليـــد القراءة !

ليـــديا : أى جُرم ارتكبته يا سيدتى حتى أعامل هكذا .

مسز مالابروب : لا تحاولى الآن أن تبرأى نفسك من هذا الامر . أنت تعلمين أنى أملك البرهان الذى لايُنقَض... فخبرينى هل تعدين أن تفعلى كما تؤمرين ؟ هل تقبلين الزوج الذى يختاره لك أصدقاؤك ؟

ليـــديا : سيدتى ! أرى لزاما علىّ أن أبلغك صراحة .. انى حتى لو أكن أوثر أى شخص آخـــر فان الاختيـــــار الذى وقعت عليـه سيكون موضـع كراهيتى !

مسز مالابروب : أى شأن لك أيتها الآنسـة بالاختيار وبالكراهة ؟ انهما لايليقان بالفتـــاة الناشئة ثم ينبغى عليك أن تعلمى أنه بما أن كليهما يبلى سريعا فان آمن شىء فى الزواج هو أن تبدأيه بقليل من الكراهية ... اننى لعلى يقين من أنى قبـــل زواجى من عمك العزيز المسكين كنت أكرهه كما لو كان مراكشيا أسودا . ولكنك لا شك تدركين أية زوجة كنت أنا رغم ذلك !!! وعندما شاءت السماء أن تخلصنى

مله • لا يعلم الا الله كم من الدموع ذرفت عيناى ؟ والآن لنفرض أننا سمحنا لك باختيار جديد فهل تعدين بسلوان ذلك الذى يدعونه بيفرلى ؟

ليديا : لو أنى استطعت أن أكذب قلبى الى حد اعطاء مثل هذا الوعد فان أفعالى لا محالة ستكذب أقوالى الى الحد نفسه •

مسز مالابروب : اذهبى فاغربى الى غرفتك • أنت لست أهلا الا لمعاشرة سوء خلقك •

ليديا : بكل سرور يا سيدتى فأنا لا أستطيع أن أبدله بأسوأ منه •

(تخرج ليديا) •

مسز مالابروب : هاك ابنة عنيدة سليطة اللسان • ولما تخرج عن الطوق بعد !

سير أنتونى : لاعجب فى ذلك • يا سيدتى ان هذا كله الا نتيجة طبيعية لتعليم البنات القراءة • بحق السماء ! لو أن لى ألف بنت اذن لآثرت المبادرة بتلقينهن السحر بدلا من حروف الهجاء !

مسز مالابروب : كلا • كلا ـ يا سير أنتونى • أنت مفرط فى بُغضك للبشر !

سير أنتونى : فى طريقى وأنا قادم الى هنـــا يا مسز مالأبروب لمحت خادمة ابنة أخيك خارجة من مكتبة للاعارة! وكانت تحمل فى كل يد كتابا رخامى اللون مجلدا بالجلد والقمـــاش ومنذ تلك اللحظة حزرت كم سأجد سيدتها ملمّة بالواجب .

مسز مالابروب : تلك أمكنه نجسه حقا .

سير أنتونى : يا سيدتى ان مكتبة الاعارة فى أى مدينة ما هى الا شجرة معارف شيطانية دائمة الاخضرار أنها تزهر طيلة العـــام . وثقى يا مسز مالابروب أن أولئك الذين يشتد شوقهم الى تناول أوراقها سوف يصبحون آخر الأمر أشد شوقا لتناول الفاكهـة أيضا !

مسز مالابروب : أف لك . يا ســـير أنتونى أنك لا شك تتكلم بسخرية ؟

مسز مالابروب : لمـاذا يا مسز مالابروب ؟ ما الذى تودين أن تعرفه المرأة فى المتوسط فى الوقت الحالى ؟

مسز مالابروب : أنصت الىّ يا سير أنتونى ـ انى لا أرغب بأى حال من الأحوال أن تكون ابنتى سليلة العلم .. لست أرى أن مثل هذا القدر الكبير من التعليم يناسب الفتاة مثال ذلك .. لن أسمح لها أبدا أن تُشغَل

باللغة اليونانية القديمة أو اللغة العبرية أو الجبر أو حساب الارقام أو الكسور أو المناقضات اللفظية أو أمثال تلك الفروع المهيّجة من المعارف ولن يكون من الضرورى لها أن تُشغَل بأىّ من آلاتكم الحسابية أو الفلكية أو الشيطانية ـ لا ـ يا سير أنتونى ـ بل سأبعث بها وهى فى التاسعة من عمرها الى مدرسة داخليـــة حيث تتعلم قدرا قليلا من الحذق والدهاء ثم تتلقى يا سيدى بعد ذلك معرفة سطحية فى المحاسبة وحين تكبر أسمح لها أن تتعلم الهندسة حتى يكون فى وسعها أن تعرف شيئا عن الدول المتاخمة لنا . . . . بيد أنه فوق كل شىء ياسير أنتونى ينبغى عليها أن تكون متجره فى علم الهجاء لكى لا تسىء هجاء الكلمات وتسىء نطقهـا بطريقة مزرية كما يفعل البنـات عادة فى الوقت الحاضر وكذلك لكى تتعرف المعنى الحقيقى لمـا تنطقه ـ هذا هو يا سير أنتونى ما أريد أن تعرفه المرأة . ولست أظن أن فيما بينهـا مادة واحدة فوق ما ينبغى الالمـام به .

سير أنتونى : حسنا ـ حسنا مسز مالا بروب . انى لن أثير هذا الموضوع معك ثانية ـ وان كنت أرى ـ لزاما علىّ أن أعترف بأنك فى مناقشاتك معتدلة مهذبة اذ أن

كل ثالث نقطة من ألفاظك هى الى جانب رأيى فى الموضوع . . . ولكن يا مسز مالا بروب لنعد الى النقطة الاهم فى المناقشة ـ لقد قلت أنك لا مانع لديك فى أن أتقدم لخطبتك .

مسز مالابروب : أؤكد لك أنه لا مانع اطلاقا . فلست مخطوبة خطوبة أكيدة لمستر اكرز . وبما أن ابنتك ليديا تأباه زوجا فى عناد شديد فربما استطاع ابنك أن يكون أكثر نجاحا معها .

سير أنتونى : حسنا جدا يا سيدتى . سأكتب لابنى فى الحال . أنه لا يعرف مقطعا واحدا مما سأكتبه له ولو انى قضيت زمنا طويلا أديم التفكير فى خطوبته فى رأسى . انه فى الوقت الحاضر مشغول فى غرفته . !

مسز مالابروب : نحن لم نر ابنك اطلاقا يا سير أنتونى . فأرجو أن لا يكون ثَمَّ اعتراض من جانبه !

سير أنتونى : اعتراض ! دعيه يعترض اذا بلغت به الجرأة ذلك! لا . لا . يا مسز مالا بروب ! ان جاك يعلم حق العلم ان أقل تلكؤ . يدفع بى الى ثورة عارمة مباشرة . لقد كانت طريقتى دائما أبدا فى منتهى البساطة ـ فى أيام اصباهم ـ كانت « جاك ! افعل

هذا ! فاذا تلكأ لطمته لطمة ألقته أرضا • فاذا هو ينفذ مما فعلت أمرته بمغادرة الغرفة فورا •

[illegible] : انها الطريقة المثلى ! ليس هنالك ماهو أشد اصلاحا للشباب من استعمال الشدة « حسنا يا مستر أنتونى سأعفى مستر آكرز من وعده لى وسأعد ليديا لتلقى تضرعات ابنك لهـا • وانى لأرجو أن تصورها أنت الى الكابتن كما لو كانت شيئا جديرا بالتقديم •

سير انتونى : سيدتى • سوف أتولى الأمر ببصيرتى ـ والآن • يجب علىّ أن أفارقك ولكنى أعود فأرجوك يا مسز مالا بروب أن تضغطى بخشونة على البنت فى هذا الأمر • ونصيحتى هى لتكن يدك شديدة الصلابة • فاذا هى رفضت خطوبته فأغلقى عليها بالقفل والمفتاح واذا استطعت أن تدعى الخدم ينسوا تقديم الغذاء اليها لثلاثة أيام أو أربعة فلا يمكنك أن تتصورى كيف سينتهى بها الحال •••

(يخرج سيرانتونى) •

مسز مالابروب : أمر حسن • على أية حال سيسرنى اخراجها من تحت اشرافى العلمى لقد اكتشفت بطريقة ما حبى لسير لوشيوس أوتريجر « بالتأكيد لا يمكن أن تكون لوسى قد خانتنى •• لا • انها فتاة بلهـاء

لدرجة انى كنت أستطيع أن ألزمها بالاعتراف
(تنادى) لوسى ؟ لوسى ؟ لو أنها كانت واحدة
من تلك المتصنعات لما ائتمنتها أبدا ؟

(تدخل لوسى) .

لوسى : هل ناديتنى يا سيدتى ؟

مسز مالابروب : نعم يا بنت ـ هل رأيت سير لوسيوس بينما كنت
فى الخارج ؟

لوسى : كلا يا سيدتى . اطلاقا . لم أر حتى خياله .

مسز مالابروب : أواثقة أنت يا لوسى أنك لم تذكرى . . . .

لوسى : معاذ الله ! انى لأقطع لسانى قبل أن أنطق بكلمة
واحدة .

مسز مالابروب : حسنا . حذار أن تجعلى بساطتك عُرضةً
للاستغلال .

لوسى : محال يا سيدتى !

مسز مالابروب : اذن عودى لى حالا فسأعطيك خطابا آخر لسير
لوسياس . ولكن انصتى الىّ اذ حدث مرة أن
خنتِ ما تؤتمنين عليه (الا اذا كان ذلك فيما
يختص بابلاغى أسرار الآخرين) فانك ستكونين
غير جديرة بعطفى .. واعلمى أن بلاهتك لن
تغتفر لك ثرثرتك .

(تخرج مسز مالا بروب) .

لـــوسى : ها • هـا • هـــا • وأنت يا بلاهتى العزيزة دعينى أمنحك قسطا من الراحة الآن ! (تغير لهجتها) فليظهر البنات اللاتى فى مثل مرتبتى ما يحلو لهن اظهاره من الخبرة ، والعلم به يعهد اليهن ! أما أنا فأحَبَّ الىَّ قناع من البـــلاهة مع عينين حادتين تبحثان عن مصلحتى تحته ! فلأنظر الآن حساب مكسبى أخيرا من تلك البلاهة (تقرأ فى ورقة) نظير التواطؤ مع مسز ليديالانجوش فى مشروع هربها مع الضابط • نقدا على عدة دفع ١٢ جنيه ، ١٢ شلن : فساتين خمسة • القبعـــات والشيلان وأغطية الرأس لاعدد لها ـ من هذا الضابط نفسه خلال الشهر الأخير ستة جنيهات ونصف ! مرتب ثلاثة أشهر تقريبـــا ؟ من مسز مالابروب لنقلى أسرار الشباب اليهـــا ـ عندما وجـدت أن تلك الاسرار كانت على وشك أن تـُكْتَشف ـ جنيهان وبالطو أسود ـ من مستر أكرز أجر عن توصيل بضعة خطابات ـ لم أقم بتوصيلها اطلاقا ـ جنيهان و ٢ عدد كورسيه ـ من سبر لوشيوس أوتريجر ثلاثة كراون قطعتان ذهبيتان صغيرتان وصندوق فضى للنشوق ـ

يا بلاهتى كم أحسنت صنعـــا ! ـ ولو انى قد اضطررت أن أجعل ذلك الارلندى العبيط يعتقد أنه يراسل لا الخالة ولكن ابنة أخيها .. وذلك لانه ولو لم يكن مفرط الغنى الا انى وجدت لديه من الكبرياء ومن الرقة ما يمنعه من أن يُخضـع عواطف رجل مهذب نبيل لحاجته المـالية .

(تخـــرج) .

الفصل الثانى

المنظر الأول : مسكن الكابتن أبسوليوت
(كابتن أبسوليوت وفاج) .

فـــاج : سيدى . بينما كنت هناك . دخل سير أنتونى . فأبلغته أنك أرسلتنى للاستفسار عن صحته ولأعرف اذ كان لديه سعة من وقت لرؤيتك .

أبسوليوت : وماذا قال عندما علم أنى هنا فى باث ؟

فـــاج : سيدى لم أر فى حياتى سيدا مهذبا متقدما فى السن أكثر دهشة منه ! انه ارْتَدَّ الى الخلف خطوتين أو ثلاثا . ثم أقسم متعجبا حوالى اثنتى عشرة مرة وتساءل أى شيطان جاء بك الى هنا !

أبسوليوت : حسنا يا سيد وبِمَ أجبت ؟

فـــاج : آه . لقد كذبت سيدى ! نسيت الكذبة ما هى على وجه الدقة ! ولكن يمكنك أن تعتمد عليها . فهو لم يحصل منى على شىء صادق اطلاقا . غير أنى أرجو بكل خضوع خوفا مما يمكن أن يحدث من أخطاء في المستقبل أن نتفق معا على السبب

الذى من أجله حضرنا الى باث كى يكون كذبنا منسقا بعض الشيء ـ خصوصا وأن خدم سير أنتونى كان لديهم حب الاستطلاع يا سيدى حب الاستطلاع بشكل شنيع !

أبسوليوت : هل قلت لهم شيئا ما ؟

فاج : كلا • ولا كلمة يا سيدى • ولا كلمة واحدة • غير أن مستر توماس السائق الذى هو حقا فى رأيى أعقل من حمل كرباجا فى العالم •

أبسوليوت : قاتلك الله أيها المحتال ! انك لم تأتمنه على شيء !

فاج : اطلاقا يا سيدى ! أبدا • أبدا • ولا مقطع واحد وشرفى ••• لقد كان فى الحقيقة فضوليا الى حد ما • ولكنى مكار يا سيدى • شيطانى المكر ••• قلت له ان سيدى أيها الأمين توماس ـ وانك لتعلم يا سيدى أن الانسان يُلَقَّب من هم دونه بكلمة الأمين ـ انما جاء الى باث فى مهمة خاصة بالتجنيد • القُرعة ، أجل سيدى قلت انه جاء لأجل « القرعة » فأنت تعلم يا سيدى أن ذلك لا يهمه ولا يهم أى أحد آخر ! وأما ما عدا ذلك من تفصيلات •

أبسوليوت : حسنا « القرعة » كلمة لا بأس بها • استمر على ذلك !

فـــاج : طبعا يا سيدى « القرعة » لا بأس بها بشكل بديع ـ بكل تأكيد ـ ولكى أسبك الكذبة أخبرت توماس أن سيادتكم قد جندتم خمسة من صانعى الكراسى المسرحين وسبعة من الخدم وثلاثة عشر من عمال البليارد .

أبسوليوت : أيها الأبله لا تتكلم أبدا أكثر مما ينبغى !

هـــاج : العفو يا سيدى . العفو ! ولكنى بكل خضوع أعرّفك أن الكذبة تذهب هباء اذا لم يؤيدها الانسان .. سيدى .. انى كلما شرعت فى اختراع كذبة سمينة مجزية .... فانى دائما أزيّف الأختام كما أزيف الفاتورة .

أبسوليوت : لا بأس ولكن حذار من أن تودى برصيدك من جراء تقديمك ضمانا أكثر من اللازم .. قل لى هل رجع مستر فولكلاند ؟

فـــاج : انه فى الطابق الأعلى يا سيدى . يستبدل ملابسه .

أبسوليوت : هل يمكنك أن تخبرنى اذاكان قد أنبىء بحضور سير أنتونى ومس ملفيل ؟

فـــاج : أظن لا يا سيدى ! أنه لم ير أحدا اطلاقا منذ حضوره عدا خادمه الذى كان معه فى برستول ـ أعتقد ياسيدى أنى أسمع وقع أقدامه نازلا السلم .

أبسوليوت : اذهب وأبلغه أنى هنا !

هـــاج : سمعا وطاعة سيدى (وهو ذاهب) ألتمس المعذرة يا سيدى ولكن اذا حضر سير أنتونى • أرجو أن تولينى معروفا بأن تتذكر أننا هنا « لنقترع » من فضلك !

أبسوليوت : حسنا ـ حسنا •

هـــاج : ثم • رأفة بسمعتى أرجو نبالتكم أن تذكروا فى معرض الحديث صانعى الكراسى والخدَم • وسأعدُّ ذلك منَّةً يا سيدى • لأنه ولو أنى لا أتردد فى قول الكذب خدمة لسيدى • لكن ضمير الانسان يُؤذَى اذا هو انكشف !

(يخـــرج) •

أبسوليوت : والآن • الى صديقى ذى النزوات ـ اذا لم يكن على علم بوجود صاحبته هنا فسأغيظه قليلا قبل أن أبلغه •

(يدخل فولكلانـــد) •

فولكلاند ! مرحبا بك فى باث ثانية ! أنت شديد المواظبة فى عودتك !

فولكلاند : أجل ! لم يكن ثَمّ ما يعوقنى بعد أن أنهيتُ ما لدىّ من عمل ••• حسنا والآن ماذا جدَّ

من أخبار بعد مغادرتي لكم ؟ وكيف تسير الأمور بينك وبين ليديا ؟

أبسوليوت : وأيمُ الله • انها لكما هي ! لم أرها منذ أن تشاجرنا ! بيد اني أتوقع أن أُستدعى بين ساعة وأخرى •

فولكلاند : لِمَ لا تقنعها بالهرب معك في الحال ! ؟

أبسوليوت : ماذا ؟ وأدعها تخسر ثُلثَي ثروتها ؟ انك ناس هذا يا صديقي ! ••

لا • لا • لقد كان في وسعي حملها على ذلك منذ عهد بعيد •

فولكلاند : دعك من هذا • انك اذن تُشغَل بالسفاسف أكثر مما ينبغي •• واذا كنت واثقا منها تقدم لعمتها بالخطوبة بشخصيتك الحقيقية واكتب لسير أنطوني ملتمسا موافقته !

أبسوليوت : مهلا • مهلا ـ اني وان كنت واثقا من أن حبيبتي ليديا على استعداد للهرب معي وأنا الملازم بيفرلي ليس غير • الا أني لست واثقا على الاطلاق من قبولها الزواج مني زواجا عاديا تافها موافقاً عليه من الجميع مع ما سيؤول الىّ من ثروة طائلة • لا • لا • لا بد لي أن أمهّد لها اكتشاف

الحقيقة بالتدريج • وأن أجعل من شخصى شيئا لا غنى لها عنه • قبل أن أخاطر مخاطرتى — سنرى • ولكنك ستتناول غذاءك معنا فى الفندق اليوم • أليس كذلك ؟

شولكلاند : كلا • لا أستطيع • لست فى حالة نفسية تسمح لى بالمشاركة فى مثل هذه الحفلة !

أبسوليوت : أعوذ بالله ! قسماً لن ألقاك بعد الآن ! انك لأنكد العاشقين طراً • وأشدهم لجاجا وأعصاهم على الاصلاح • أيها الرجل اعشق كما يعشق الرجال ! •

شولكلاند : أعترف بأنى غير أهل للمصاحبة !

أبسوليوت : ألستُ أنا عاشقا ؟ نعم • وخياليا كذلك ؟ ولكن هل ترانى أحمل معى حيث أسير ركاما ملعونا من الوساوس ، والمخاوف والأمانى والرغبات ، وما شاكل ذلك من شتى الخزعبلات التى تملأ رأس الفتاة الريفية العذراء ؟

شولكلاند : آه ياجاك ! انقلبك وروحك ليسا كقلبى وروحى نذرا نفسيهما لشىء واحد • لا بديل منه •••أنت تراهن فى سبيل مغنم كبير ولكنك اذا خسرت فأنت قادر على أن تراهن مرة ومرة •• أما أنا

فلقد أقمت صَرح سعادتى على رهان واحد • فاذا لَم أُوفق فقد أضعت كل شىء •

أبسوليوت : ولكن بحق السماء • أى سبب من أسباب الخوف يختلقه عقلك من الوهم فى الوقت الحاضر ؟

فولكلاند : أى سبب من أسباب الخوف ؟ هل قلتَ ذلك ؟ يا للسماء أليس هناك ألفٌ من الأسباب ؟ انى أخاف على حالتها المعنوية ـ على صحتها ـ على حياتها • ان غيابى قد يكدرها ؟ ثم القلق الذى تكابده انتظارا لعودتى ـ ثم خوفها علىّ • كل ذلك قد يؤذى طبعها الرقيق • ثم فيما يختص بصحتها • أليست كل ساعة تمر تسوق لى الانزعاج ؟ اذا أمطرت السماء فان البلل قد يصيب بالقشعريرة جسمها النحيل واذا اشتطت الريح فان لفحة من الهواء قد تنالها بالأذى • حر الظهيرة ـ ندى السماء قد يعرضان للخطر حياتها الغالية التى لا أقيم لحياتى وزنا الاّ من أجلها •• آه • يا جاك • اذا افترقت روحان حساستان رقيقتان فليس ثمت ذرّة فى السماء ولا حركة فى الكائنات ولا خطرة من النسيم الا أثارت ايماءة من الخوف عند العاشقَيْن •

أبسوليوت : أجل • ولكن يجب علينا أن نتدبر هل نستجيب لتلك الايماءة أم لا ـ انصت الىّ يا فولكلاند متى ما اقتنعت أن جوليا معافاة ومرتاحة نفسيا فينبغى أن تسعد بذلك كل السعادة •

فولكلاند : أجل كنت أسعد بذلك سعادة لا حد لها • لأن هذا هو الشىء الوحيد الذى يقلقنى •

أبسوليوت : اذن فلكى أزيل عنك هذا القلق أخبرك أن مس ملفيل فى صحة كاملة وهى فى هذه اللحظة هنا فى باث •

فولكلاند : دعك من هذا يا جاك • انك تهزأ بى •

أبسوليوت : لقد وصلت الى هنا مع أبى منذ أقل من ساعة •

فولكلاند : أيمكن أن يكون قولك هذا من قبيل الجد ؟

أبسوليوت : حسبت أنك خبرت سير أنتونى بحيث لا تعجب على نزوة مباغتة من هذا القبيل • ثق اذن أن ما أقوله صحيح • أقسم لك بشرفى ؟

فولكلاند : يا صديقى العزيز ! (ينادى) « دوبنى • هات قبعتى » : يا صديقى العزيز ـ لا شىء على وجه البسيطة يستطيع الآن أن يسبب لى قلقا لحظة واحدة •

(يدخل فاج) •

فـــاج : سيدى ـ ان مستر أكرز قد وصل تواً ، وهو الآن بأسفل الدار .

أبسوليوت : أمكُث فولوكلاند ـ ان أكرز هذا يقطن على بعد ميل واحد من سير أنطونى وسوف يبلغك كل ما حدث لصاحبتك منذ أن فارقتها ـ يا فاج أدخل السيد أكرز .

(يخـرج فـاج) .

فولكلاند : ماذا ؟ هل له معرفة وثيقة بالعائلة ؟

أبسوليوت : وثيقة جـدا : انى ألح عليك فى ألا تنصرف . وأيضا ستجد شخصية مسلية .

فولكلاند : حسنا . انى أحب أن أسأله بعض الأسئلة !

أبسوليوت : ثم انه فوق ذلك منافس لى . أقصد لشخص الآخر ! ولا يخطر بباله أن صديقه الكابتن أيسوليوت وقعت عيناه أبدا على الفتاة التى نتنافس على حبها . ومن المضحك حقا أن تسمعه يشكو لى من شخص يدعى بيفرلى ، غريمه الخفي الذى يتوارى جنباً ، والذى ...

فولوكلاند : صه ! هذا هو ...

(يدخل أكـرز) .

أكـــرز : أهلا • صديقى العزيز الكابتن النيل ، أيها الأمين جاك • كيف أنت ؟ انى وصلت الآن توا كما ترى • (محييا فولكلاند) خادمك المتواضع يا سيدى ـ لقد كانت رحلة عنيفة يا جاك • أصوات تفرقع وعجل يتدحرج بسرعة • كنت أسرع كالشهاب وفى أثرى ذيل من الغبار على طول الطريق أطول من شارع مول (١) •

أبسوليوت : آه يا بوب • انك حقا لجرم سماوى غريب • ومع ذلك فاننا ندرك ماذا جذبك الى هنا ! والآن اسمح لى أن أقدم لك مستر فولوكلاند : « مستر فولوكلاند • مستر أكرز ! »

أكـــرز : سيدى • انى لفى أقصى درجات السرور القلبى لرؤيتك••وانى ليسعدنى أن نتعارف يا سيدى•• قل لى يا جاك •• هل هذا هو مستر فولوكلاند الذى ••••

أبسوليوت : أجل يا بوب •• هو فولوكلاند صديق مس ملفيل !

أكـــرز : يا للغرابة •• هى ووالدك قد حضرا ليتوهما قبلى ـ أظن أنك قد رأيتهم !

---

(١) شارع طويل فى قلب لندن

ايه ! مستر فولكلاند انك رجل سعيد بلا ريب !!

فولكلاند : أنا لم أر مس ملفيل بعد يا سيدى • أتعشم أن تكون قد تمتعت بصحة تامة وراحة نفسية كاملة فى ديفونشاير ؟

أكرز : لم أرَها فى حياتى أحسن صحة يا سيدى • أبدا اطلاقا • ولا تسل عن احمرار الوجنتين وازدهارهما • لقد كانت الصحة نفسها مجسّمة•

فولكلاند : أحق ذلك ؟ لقد سمعت أنها متوعكة قليلا ؟

أكرز : كذب وزور يا سيدى ••• انما قيل لك ذلك لاغاظتك • أؤكد لك أن العكس تماما هو الصحيح •

فولكلاند : أسامع يا جاك ؟ انظر كيف تمتاز هى علىّ ! لقد كاد قلقى عليها أن يُسقمنى !

أبسوليوت : والآن • أتراك غاضبا من صديقتك لأنها لم تمرض !

فولكلاند : لا • لا • انت تسىء فهمى • ولكن من المؤكد أن فراق الأحبة يُسلم المحب الى قلق المزاج الى حد ما •• اعْتَرِفْ الآن • أليس فى تلك الصحة العنيفة العَرِمَة غير العابئة بأحد دليل على شىء من القسوة ؟

أبسوليوت : حقا ! لقد كانت شديدة القسوة اذ تبقى فى صحة طيبة فى أثناء غيابك • هذا لاشك فيه !

أكـــرز : هذا مسكن جميل يا جاك ؟

فولكلاند : حسنا يا سيدى • ولـكنك كنتَ تقول ان مس ملفيل كانت فى صحة طيبة الى أبْعد حد ••• ماذا أيضا ؟ كانت فرحة مَرِحة فيما أعتقد ؟ ودائما فى أحسن حالة نفسية ؟ هيه • أليس كذلك ؟

أكـــرز : مَرِحة ! يالله ! لقد كانت حيث ذهبت • فتاة المجتمع وروحه تفيض حيـوية وأيناساً وتمتلىء ذكاء ودعابة !

فولكلاند : أسامع أنت يا جاك أسامع ! أواه ! أقسم بروحى أن النساء جميعا قد جُبِلن على طيش بالغ لاسبيل الى مغالبته ! كيف يتأتى ذلك ؟ أسعيدة فى الوقت الذى أكون أنا فيه بعيدا عنها ؟

أبسوليوت : دع عنك هذا ! ما أشد هذا الجنون ! منذ لحظة واحدة كنت تظهر الخوف على حالتها النفسية !

فولكلاند : ولـكن هـل رأَيْتَنى يا جاك روحَ حفلةٍ ما ومبعثَ سرورها ؟

أبسوليوت : كلا وأيم الحق • لم تكن ذلك اطلاقا !

فولكلاند : هل تألقتُ مرة واحدة حَيَوية وايناساً ؟

أبسوليوت : لا أكذبك • انت براء من ذلك !

فولكلاند : هل كنتُ أفيض ذكاء ودعابة ؟

أبسوليوت : لا وشرفى • انصافاً لك أقرر أنك كنت فى منتهى الغباء !

أكرز : ماذا ألمّ بهذا الرجل ؟

أبسوليوت : انه يعبر عن فرط سروره لسماعه أن جوليا كانت كاملة الصحة قريرة النفس • هذا هو كل ما فى الأمر • أليس كذلك ؟ يا فولوكلاند ؟

فولكلاند : مهلا ! لقد سررت عند سماعى انها ••• نعم • نعم • انها ذات طبيعة سعيدة مرحة !

أكرز : هذا أمر لا شك فيه ! ولكنها فوق ذلك ذات هبات عظيمة أخرى ! صوتها عذب جدا ••• ابداعها فى لعب الكمنجة ••• غناؤها الشجى الأخّاذ الناعم المرتعش الغَنِج • يا للتوقيع يا للنغم ! لقد كانت البلبل الصداح فى حفل مسز بيانو فى هذا الشهر بالذات •

فولكلاند : أسامع هذا أيضا ؟ ماذا عساك تقول فيه ؟ أرأيت كم كانت كلها فرح ولهو وغناء ، ولا أخطر على بالها مرة واحدة !!

أبسوليوت : أعوذ بالله أيها الرجل ! أليست الموسيقى هى غذاء الحب ؟

فولكلاند : أجل ! أجل ؟ قد تكون كذلك . ولكن أرجوك أيها السيد .. ما اسمه عليه اللعنة .. هل تذكر الأغانى التى غنتها مس ملفيل ؟

أكـــرز : لا . لست أذكرها !

أبسوليوت : انتظر قليلا ! فيما أعتقد . كانت ألحانهـا تنساب شجية حزينة ناعمة . لعلك تتذكر الآن . هـل كانت تغنى « بينما أنا بعيدة عن حبيب الروح » .

أكـــرز : لا . لم تكن هذه الأغنية .

أبسوليوت : أو (يُغنى) « يا نسيم الصبا تحمل سلامى » .

أكـــرز : لا . لا . ليست شـيئا شـــبيها بذلك أبدا . آه يا للشيطان . لقد تذكرت واحـدة من أغنيـاتها (يغنى) « ان قلبى لى وحدى . وهو حُرٌ من كل قيد » .

فولكلاند : آه ! كم أنا مجنون ! مجنون اذ أضـع سـعادتى كلها بين يدى مثل تلك العابثة ! أيها الموت أين أنت ؟ تجعل من نفسها مغنيـةً ومزماراً معـاً فى حفـــل صاخب ؟ تداعب قلبهـا الخـالى بالنكات والمسرات ؟ ماذا عساك تقول فى هذا أيضا ؟ .

أبسوليوت : وماذا فى ذلك ؟ مـا أشـــد ما يسرُّنى أن أرى صاحبتى مَرِحةً الى هذا الحد ياسيدى !

هولكلاند : لا لا لا • أنا لست حزينا لسعادتها • أبدا • أنا مسرور لذلك ! ما كنت أحب لها أن تكون حزينة ولا مريضة • ولكن لا جدال فى أن القلب الذى يشاطر قلبا آخر الحب جدير بأن يُعبِّر عن نفسه حتى عند انتقائه غنوة يغنيها ••• نعم انها ربما كانت معتدلة الصحة • وكانت بشكل ما تجمع بين المرح والحزن • ولكنها كانت ترقص أيضا لا أشك فى ذلك ؟ !

أكرز : ماذا يقول السيد عن الرقص ؟

أبسوليوت : يقول ان السيدة التى نتحدث عنها تحسن الرقص كما تحسن الغناء •

أكرز : نعم حقا هى تحسنه • ففى حفلتنا الراقصة الأخيرة •••

هولكلاند : يا للجحيم ويا للشيطان ! اسمع • اسمع • قلت لك ذلك!أواه!انها لتَسعد بغيابى ترقص! لا•لقد كانت مشاعرها متناقضة مع مشاعرى • لقد كنت قلقا ، صامتا ، مطرقا ، راكدا • أيامى كلها ساعات من الشجى • وليالىَّ أرق وترقب ! وهى فى بحبوحة من الصحة ! والهناء ! والضحك ! والغناء ! والرقص ! عليه اللعنة هذا الاستهتار ! عليه اللعنة •

أبسوليوت : بحق السماء يا فولوكلاند لا تجعل نفسك عرضة للنقد الى هذا الحد • هب أنها رقصت فماذا فى ذلك ؟ أليست واجبات المجتمع غالبا ما تضطر •••

فولكلاند : حسنا حسنا • سأحتفظ بهدوئى • كما تقول • ابقاءً على المظاهر ـ قل لى يا مستر أكرز أنت كنت تمتدح طريقة مس ملفيل فى رقصة المِنْيُوِى المحتشمة أليس كذلك ؟

أكرز : أجل أنا كفيل بضمانها فى هذا ! لكن الذى كنتُ على وشك أن أتحدث عنه بصفة خاصة هو رقصها الريفى ! أواه ! ما أعجب التبختر كأنه العَوْم ! ما أبهى الجوّ الذى تشيعه حولها حيث تكون ! •

فولكلاند : الى هذا • والويل لها !!! دافع عن ذلك يا أبسوليوت ! لماذا لا تدافع عن ذلك ؟

رقصات ريفية ! يا للسخرية ! هل هنالك من يوجّه لى اللوم الآن ؟ رقصة ثنائية محتشمة كنت أستطيع أن أغتفرها • ما كنت لأهتم لها ! أقول انى ما كنت لأعبأ برقصة ثنائية واحدة ولكن رقصات ريفية ! يا للشيطان ! لو أنها كانت احدى راقصَيْن معا ـ أعتقد أنى أستطيع اغتفار حتى ذلك • أما أن تُسحَب كما يسحب القرد ليلة

بأكملها ! أن تجرى بين صف من الماجنين العاشقين تستعرض خطاها كما لو كانت مهرة تقاد .. حسبك جاك .. انه لا يمكن أن يكون فى العالم كله غير رجل واحد هو الذى ينبغى أن تزامله المرأة الرقيقة الصادقة الاحتشام فى رقصة ريفية ! وحتى فى هذه الحالة أيضا يجب أن لا يتكوّن بقية المتزاملين من الراقصين الا من عمات الآباء وخالاتهم !

أبسوليوت : أى وأيم الله ! ومن أجدادهم وجداتهم أيضا !

فولكلاند : ذلك لأنه اذا حدث أن كان فى الجمع كله نفسٌ مريضةٌ واحدة . فسَرعان ما تعْدى كالوباء اذْ تتجاوب ضربات نبضهم مع حركات الرقص الشهوانية . واذْ رجفةُ تنهداتهم الدافئة الأنفاس تؤرّج الهواء نفسَه فيُمسى الجو وقد غَزَتْه كهرباء الحب . وكلُ شرارةُ عشق تَسرى كالبرق الخاطف عَبْرَ كل حلقةٍ من حلقات السلسلة ! حسبى ! يجب أن أفارقك الآن أعترف أن بى شيئا من الهياج ولا بد قد لحظه ذلك الأبله اللعين .

(وهو خارج) .

أبسوليوت : كلا . ولكن انتظر يا فولوكلاند لتشكر مستر أكرز على أخباره الطيبة !

فولكلاند : اللعنة على أخباره !

(يخرج فولكلانـد) .

أبسوليوت : ها ها ها ! مسكين يا فولوكلاند ـ لم تنقض بعد خمس دقائق على قوله « لا شيء على وجه البسيطة يسبب لى لحظة من القلق » !

أكـرز : لعل هذا السيد قد قدره مدحى لصاحبته . هل هذا هو السبب ؟

أبسوليوت : شيء من الغيرة فيما أعتقد يا بوب !

أكـرز لا تقل ذلك ! ؟ ها ها ! يغار منى أنا . انها لنكتة ظريفة جدا !

أبسوليوت : ليس فى ذلك أية غرابة يا بوب ! أؤكد لك أن رشاقتك الحيـة وأسـلوبك الملمح كفيـلان ببذر الفتنة بين الفتيات هنا !

أكـرز : حقا . انك تمزح . ها ها الفتنة . ها ها ولكنك تعلم تمـاما انى لست ملك نفسى وأن عزيزتى ليديا قد شغلت الفؤاد قبلهن . حقيقة هى لم تكن تتحمل وجودى اطلاقا عندما كنا فى الريف وذلك

لانى كنت أرتدى ملابسى بشكل قبيح .. لكن وحق الضفادع والأطبال لن أستمر على تلك الحال هنا ! بعد الآن لن يكون للعجوز رأى فى هذا الأمر . وسأفهم ملابسى العتيقة مَنْ هو السيد المطاع .. سأفصل من العمل فوراً بدلة الصيد .. وسأحيل السراويل الى المعاش .. أما شعرى فقد بدأت أتعهده منذ وقت قريب ! .

أبسوليوت : حقا !!

أكرز : نعم ! وانه وان كان فَوْداى الملعونان دائما ثائرَيْن على النظام الا أن قفاى يستجيب لكل توجيه .

أبسوليوت : انك ستلمع نفسك .. لا شك فى ذلك ! .

أكرز : كل اللمعان . هذا هو ما أعتزمه .. وبعد ذلك اذا أنا تمكنت من أن أقابل ذلك الملازم بيفرلى . فوحق الزناد والحجر الصوان . سوف أجعله يفقه ما هنالك من فارق بيننا .

أبسوليوت : انك تتحدث كالرجال يا بوب . ولكنى أراك تتخذ طريقة غريبة من طرق التعبير بالقسم المتكرر .

أكرز : ها . ها لقد لاحظت بنفسك ! طريقة ظريفة . أليس كذلك ؟ لست أنا الذى اخترعتها ولكنه

قائد فرقة المشاة التى كنا فيها ـ وأوكد لك انه عالم كبير كذلك • كان يقول لنا انه لا معنى للقسم العادى المتداول • الذى لم يعد له من احترام الا لأقدميته فقط ـ كذلك كان يقول أن القدامى كانوا لا يلتزمون قسما واحدا أو قسمَيْن بل كانوا يقولون وَرَبِّ الأرباب • أو وَرَبِّ الخمر أو وَرَب الحرب أو ورب الحب أو وربة الحكمة ـ طبقا للشعور حتى يكون القسم ملتزما حدود اللياقة • وكان ضابطى الصغير يضيف الى ذلك قوله « ان اليمين يجب أن يكون صدى للمعنى » ••• وهذا هو ما نسميه القسم المعبر أو اليمين العاطفى ••• ها ها ها • طريقة ظريفة أليس كذلك ؟

ابسوليوت : ظريفة جدا وجديدة جدا بكل تأكيد ••• أكاد أقول انها ستقتلع كل أنواع القسم الأخرى •

اكرز : نعم • نعم ـ حتى أحسن الكلمات ستصبح أقدم من أن تستعمل ـ لقد استهلكت كلمة « اللعنة » فيها •

(يدخل فاج) •

فاج : سيدى • يوجد سيد تحتنا يرغب رؤيتك •• هل أدخله غرفة المقابلة ؟

أبسوليوت : أجل لا مانع .

أكـــرز : حسنا فلأذهب أنا .

أبسوليوت : انتظر . . من هو يا فاج ؟

فـــاج : والدك يا سيدى .

أبسوليوت : أيها الكلب ! لـماذا لم تأت به الى هنا مباشرة ؟

(يخرج فـــاج) .

أكـــرز : أنت مشغول مع سير أنتونى . وأنا أنتظر رسالة من مسز مالابروب فى مسكنى . كذلك أرسلت لصديقى العزيز سير لوشيوس أو تريجر . الى اللقاء يا جاك .

لا بد لى أن أراك الليلة لكى تقدم لى اثنتى عشرة كأسا من أجل ليديا !

أبسوليوت : هذا أقدمه من كل قلبى .

(يخرج أكـــرز) .

والآن فالى محـــاضرة أبوية . أتعشـم انه لم يسمع شيئا عن العمـل الذى جاء بى الى هنـا . كم كنت أتمنى لو أن النقرس قد شده شدا الى سريره فى ديفونشاير . كم كنت أتمنى ذلك من كل قلبى !

(يدخل سيرانتونى) .

سيدى • انى لفى غاية السرور لرؤيتك هنـا • وفى هذا المحيا الناضر ؟ ان حضورك ـ المفاجىء الى باث بعث فىّ الخوف على صحتك !

سير أنتونى : الخوف الشديد فيما أعتقد يا جاك ••• ماذا حدث هل أنت فى عمل خاص بالقرعة هنا ؟ ها ؟

أبسوليوت : نعم يا سيدى أنا فى مهمة رسمية •

سير أنتونى : حسنا يا جاك • أنا سعيد برؤيتك ولو انى لم أكن أتوقعها بل كنت على وشك الكتابة اليك فى عمل بسيط ـ جاك ! لقد كنت أفكر فى أنى أتقدم فى العمر ، ويصيبنى الضعف ، وربما لن أعيش كثيرا •

أبسوليوت : عفوا يا سيدى • ولكنى لم أرك فى حياتى أشد قوة وعافية •• وانى لأدعو الله دعاء متكررا أن تظل هكذا •

سير أنتونى : أتمنى لو استجيبت دعواتك من كل قلبى ـ حسنا اذن يا جاك لقد كنت أفكر فى انى قوى معـافى وأرجو أن أظل هـكذا وقتا طويلا لـكى انغص عليك عيشك •• والآن اصغ الىّ يا جاك • انى على يقـين أن الأجر الذى تتقـاضاه على عملك زائدا المبلـغ الذى أســـمح لك به حتى الآن

لا يمثلان الا دخلا زهيدا بالنسبة الى شاب له مثل نشاطك وحيويتك .

أبسوليوت : سيدى . انك لشديد الطيبة .

سير أنتونى : ولقد شاءت ارادتى . وأنا بعد على قيد الحياة . أن أجعل من ولدى رجلا مرموقا فى العالم . ولذا قررت أن أهيىء لك فى الحال استقلالا كريما .

أبسوليوت : سيدى . ان احسانك ليُعجزنى .. مثل هذا الكرم يُلهب شكر العقل حتى يطغى حتى على برّ البنوة .

سير أنتونى : انى مغتبط لوعيك بحسن التفاتى . فستكون فى مدى بضعة أسابيع السيد المتصرف فى ضيعة كبيرة .

أبسوليوت : سيدى . فليكن مستقبلى معبرا عن ولائى لك . فأنا لا أستطيع أن أعبر عن شعورى بما تركه . ولكنى أظن يا سيدى انك لا تريد أن أترك الجيش ؟

سير أنتونى : كلا . ان هذا سيكون طبقا لمشيئة زوجتك !

أبسوليوت : زوجتى . يا سيدى ؟

سير أنتونى : نعم • نعم • سَوِّيا هذا الأمر فيما بينكما • فيما بينكما !

أبسوليوت : زوجة يا سيدى ؟ هل قلت ذلك ؟

سير أنتونى : أجل • زوجة • ألم أحدثك عنها قبلا ؟

أبسوليوت : لم أسمع كلمة واحدة عنها يا سيدى •

سير أنتونى : يا للعجب • كيف ؟ يجب أن لا أنساها أبدا • نعم • جاك • ان الاستقلال الذى كنت أحدثك عنه انما يتم بالزواج ! الثروةُ مسرَجة مع الزوجة• بيد انى أظن أن ذلك لا أهمية له !

أبسوليوت : سيدى • سيدى انك تُذْهِلُنى !

سير أنتونى : لماذا ؟ يا للشيطان ما الذى حدث لهذا الأبله ؟ الآن فقط كنت مفعما بالشكر والامتنان •

أبسوليوت : أى نعم كنت يا سيدى • ولكنك كنت تحدثنى عن استقلال • وعن ثروة • ولم تقل كلمة واحدة عن زوجه •

سير أنتونى : ويحك • أى فارق بينهما ؟ ما أغرب أمرك يا سيدى ! اذا كنت تريد أن تأخذ الضيعة فلا مفر من أن تأخذ الدواب التى عليها معها !

أبسوليوت : اذا كنت سأدفع سعادتى ثمنا لهذه الصفقة فانى

أستميحك عفوا فى أن أرفض الشراء ـ ولكن أرجو يا سيدى أن أعرف من هى السيدة ؟

سير أنتونى : ما شأنك بهذا أيها السيد ؟ كفى • اعطنى وعدا صريحا أن تحبها وأن تتزوجها فورا !

أبسوليوت : حقا سيدى • انه من البعد عن العقل أن يطلب منى منح عاطفتى لامرأة لا أعرف عنها شيئا !

سير أنتونى : أنا واثق أيها السيد أنه أكثر بعدا عن العقل أن تعترض على سيدة لا تعلم عنها شيئا ؟

أبسوليوت : اذن يجب علىّ يا سيدى أن أبلغك بكل صراحة أن ميولى متجهة نحو أخرى ـ ان قلبى مشغول بملاك •

سير أنتونى : اذن فليعتذر ـ قلبك لهذه التى تحبها ـ ان الانفصال محزن جدا ، ولكن العمل يأبى عليه أن يظل مرتبطا بها •

أبسوليوت : والعهود التى قطعتها لها ؟

سير أنتونى : دعها تتخذ اجراءاتها ضدك يا جاك ! دعها تتخذ الاجراءات ! فعهودك لا تساوى قيمة الوفاء بها • ثم • أظن • أنك تلقيت من الملاك عهودا مقابل عهودك وعلى هذا فليس هناك خسارة !

سير أنتونى : لا بد أن تعذرنى يا سيدى اذا أنا قلت لك للمرة الأخيرة • انى فى هذا الأمر لا يمكننى أن أطيعك !

أبسوليوت : أصغ الىّ يا جاك • لقد استمعت اليك فترة من الوقت بشىء من الصبر •• كنتُ هادئاً هادئا جدا • ولكن حذار ! أنت تعلم انى أنا الاذعان نفسه عندما لا أثار • لا يوجد أحد أسلس منى قيادا عندما أسير فى الطريق الذى اخترته •• ولكن اياك أن تثير هياجى !

أبسوليوت : سيدى • انى مضطر أن أكرر ما قلت • فى هذا الموضوع لا تمكننى طاعتك !

سير أنتونى : اذن فعلىّ اللعنة اذا أنا دعوتك جاك ثانية ما دمت حيا !

أبسوليوت : مهلا يا سيدى • ولكن استمع الىّ •

سير أنتونى : أيها السيد لن أسمع منك كلمة ـ ولا كلمة ـ ولا كلمة واحدة • فاعطنى وعدك بايماءة من رأسك فقط • أخبرك انك يا جاك • أعنى أيها الكلب ـ اذا لم •••

أبسوليوت : ماذا يا سيدى • هل أعطى وعدا بأن أربط نفسى بكتلة من القبح ! ب •••

سير أنتونى : ويل لك يا ولد • لتكن تلك السيدة من القبح بالدرجة التى أختارها أنا • سيكون لها حَدَبةٌ على كل كتف • ستكون مُقَوّسة كأنها الهلال•• ستكون ذات عين واحدة تدور وتلف كما تدور وتلف عين الثور الأعور فى متحف الحيوان••• سيكون جلدها كجلد المومياء وستكون لها لحية يهودى ••• ستكون كل ذلك معا • يا ولد ! ورغم ذلك فأنا سأرغمك على أن ترنو اليها غزلا ليل ونهار وأن تسهد الليل بطوله تسطر فى جمالها الأشعار •

أبسوليوت : ان هذا لهو جماع العقل والاعتدال • وايم الله !

سير أنتونى : حذار من هذا التهكم أيها الكلب ـ وكفّ عن الابتسام أيها القرد !

أبسوليوت : أؤكد لك يا سيدى انى لم أكن فى حياتى أبعد عن المجون منى الآن !

سير أنتونى : بهتان أيها السيد • انى واثق أنك تضحك فى عبك • كما انى واثق أنك ستضحك بمجرد انصرافى •

أبسوليوت : سيدى • أعتقد انى أَعرَفُ بواجبى !

سير أنتونى : دع عنك الانفعال أيها السيد وخلّ عنك هذا العنف • أرجوك • انهما لا يجديان معى ، أؤكد لك •

أبسوليوت : الحق يا سيدى انى ما كنت فى حياتى أهدأ منى الآن •

سير أنتونى : هذا كذب لعين • أنا واثق أنك منفعل فى داخل قلبك ! أنا واثق من ذلك أيها الكلب المرائى ولكن لا فائدة ترجى من وراء ذلك • !

أبسوليوت : أبدا • يا سيدى • أقسم بشرفى !

سير أنتونى : ها أنت تثور ! ـ ألا تستطيع أن تكون رزينا مثلى ؟ أية ثمرة ملعونة يمكن أن تأتى من وراء الانفعال ؟ ان الغضب لا يغنى فتيلا أيها الوقح السفيه المرذول ها أنت تعود الى ابتسامة الاستهزاء • لا تثر هياجى ! اتكالاً منك على دماثة طبعى • انك تتكل على ذلك • أيها الكلب ! انك تستغل رقة حاشيتى • ولكن خذ حذرك ! صبر القديس قد ينتهى أخيرا •• ثم أسمع • انى أمهلك ست ساعات ونصف لكى تتدبر فيها الأمر • فاذا وافقت دون أى شرط أن تفعل أى شىء على وجه الأرض أختاره أنا • لعنة الله

عليك ! قد أسامحك فيما بعد ـ أما اذا رفضت فلتذهب الى الجحيم • واياك أن تطأ نصف الكرة الأرضية الذى أنا فيه • واياك أن تتجرأ فتتنفس نفس الهواء أو تستعمل نفس الضوء اللذين أستعملهما • بل اذهب وفتش لك عن جو آخر وعن شمس أخرى خاصة بك ! سأعزلك من الجيش •• وسأودع خمسة شلنات وثلاثةبنسات لدى بعض الضامنين لكى تعيش على فوائدها فحسب ! سأنكر أبوتى لك • وسأحرمك من الميراث وسأتبرأ منك كلية •• و •• لعنة الله علىّ اذا أنا دعوتك جاك بعد الآن •

(يخرج سيرانتونى) .

ابسوليوت : أيها الأب الحليم الرفيق العطوف • انى أقبل يديك الاثنتين ! ما أرق الأسلوب الذى يتخذه سير أنتونى للافصاح عن رأيه فى هذه المواضيع ! لا أجرأ أن أطلعه على الحقيقة ترى أية ثرية عجوز شمطاء تلك التى يريد أن يتفضل بها علىّ ؟ والعجيب انه هو لم يتزوج الا عن حب ؟ وكم كان فى شبابه ألعانا جسورا ورفيق مرح ودعابة !

(يدخل فاج) .

فـــاج : حقا يا سيدى ان والدك غضبان الى أبعد حـد • ينزل السلم كل ثمانية أو عشرة فى قفزة واحدة• يجمجم ويهمهم ويضرب السياج فى كل خطوة منـه • وتصـادف انى كنت أنا وكلب الطبـاخ واقفيْن بالبـاب ننحنى له عنـد خروجـه فاذا به (طاخ) ينزل بعصاه على أم رأسى ويأمرنى أن أوصل مثلها لكم • ثم رفس الكلب المسكين رفسة ألقته فى الضاء ولعنا جميعـا داعيـا ايانا « ثالوث الكلاب » وشرفى يا سـيدى لو كنتُ أنا مكانك ووجدت عشْرةَ أبى رديئة الى هـذا الحد اذن لقطعت كلَ علاقة لى به نهائيا ! •

أبسوليوت : كفَّ عن وقاحتك أيهـا السيد • هل كنت آتيـا لشىء آخر ؟ ابتعد عن طريقى •

(يدفعـــه جانبا ويخرج) •

فـــاج : (وحده) (هو هو) أن سير أنتونى قد هـذَّب سيدى كثيرا • يخاف أن يرد على أبيه فيصب جام غضبه على المسكين فاج ! عندما يغتاظ الانسان من شخص ثم ينتقم لنفسه من شخص آخر يصادفه فى الطريق فانه يرتكب لذلك أقبح ظلم ! نعـم ويدلل على أسوأ طبع وأحطه !

(يدخل ولد صغير للمراسلة) •

مستر فاج • مستر فاج • سيدك يناديك •

فـــاج : أيها الكلب الصغير القذر لماذا تصرخ هكذا ؟••• ويدل على أقبح خلق ! وعلى •••

أسرع • أسرع مستر فاج !

فـــاج : « أسرع ! أسرع ! » أيها القرد الوقح ! لم يَبْق الا أن أتلقى الأوامر منك أنت أيضا يا قليل الأدب يا تربية المطابخ •

(يخرج وهو يرفسه ويضربه) .

المنظر الثـــانى

المنتزه الشـــمالى

(تدخل لوسى) .

لـــوسى : وعلى ذلك سيكون علىّ أن أضيف خِصْما جديدا الى قائمة سيدتى . « الكابتن أبسوليوت » على كل حال لن أقيـد اسـمه حتى يتلقى كيسى اخطارا رسميا بذلك .. مسكين أكرز سَيُفصَل .. على كل حال قد أديتُ له خدمة أخوية أخيرة عندما أبلغته أن بيفرلى جاء هنا قبله ـ سير لوشيوس ـ يكون عادة أكثر مواظبة عندما يتوقع أن يسمـع شيئا من حبيبته « داليا » كما يسميها . فعجيب جدا انه لم يأت بعد ! ـ ضميرى يوبخنى قليلا على هذا الغش الذى أقوم به . بيد انى لن أقبض كثيرا اذا علم فارسى أن داليا تناهز الخمسين من عمرهـا وانها سيدة نفسها .

(يدخل سيرلوشيوس أو تريجر) .

سيرلوشيوس : أهلا ! (بتعجب) سفيرتى الصغيرة ! وشرفى كنت أبحث عنـك . لى نصف ساعـة وأنا فى المنتزه الجنوبى !

لـــوسى : (تتكلم بـكل بساطـة) يا الهى ! وأنا كنت فى انتظار تشريفك هنا فى الشمالى .

سيرلوشيوس : شرفا ! هذا محتمل ، وهذا هو السبب الذى من أجله لم نتقابل ـ ومن المضحك جدا أيضا كيف أمكنك أن تخرجى من المنزل دون أن أراك ! مع انى لم أغف الا غفوة قصيرة فى قهوة المنتزه حيث اخترت المكان المجاور للشباك عمداكى لا أخطئك .

لـــوسى : يا للسماء ! . يمكننى أن أراهن بنصف شلن على انى مررت فى اللحظة التى كنت فيها نائما !

سيرلوشيوس : ليس فى ذلك شـك أبدا . ومن العجيب انى لم أحلم بأن الـوقت أزف الا بعـد أن اسـتيقظت . حسنا . ولكن يا فتاتى الصغيرة أليس معك شىء لى ؟

لـــوسى : كيف لا ؟ طبعا معى ؟ معى لك خطاب فى جيبى !

سيرلوشيوس : عظيم ! لقد حزرت انك لن تأتى خاليـة اليـد . حسنا . دعينى أقرأ ما تريد العزيزة الحسناء أن تقول ؟

لـــوسى : هذا هو يا سير لوشيوس (تعطيه الخطاب) .

سيرلوشيوس : (يقرأ) سيدى ـ غالبا يوجد فى الحب دافـع

غريزى له استقراء أكبر مما تخلقه أعوام من المعاشرة المنزلية ـ وهذه هى العاطفة التى شعرت بها لدى أول مقابلة سطحية مع سير لوشيوس أو تريجر » . كلام جميل جدا وايم الله .. « هذا وان الضبط الأنثوى لينهانى عن أن أزيد على هذا . ولكن اسمح لى أن أضيف انه لمما يهنئ سرورا منزها عن الخطأ أن أجد سير لوشيوس جديرا بالمستوى الأخير لعواطفى . (داليا) » . يمينا يالوسى ان سيدتك لأستاذة ضليعة فى اللغة. حقاً انها ملكة القاموس ... يا للشيطان ! ليس هنا لك لفظة واحدة تجرؤ على أن تعصى لها أمرا ولو كانت هذه الكلمة بعيدة عن الاستعمال .

لوسى : لا عجب فى ذلك يا سيدى فانها سيدة ذات خبرة!

سيرلوشيوس : خبرة ؟ خبرة وهى فى السابعة عشرة ؟

لوسى : نعم . نعم . حقيقة يا سيدى . ولكنها تقرأ كثيرا. يا للسماء ! لو رأيت كيف تقرأ دون استعداد سابق .

سيرلوشيوس : حقا . لا بد انها تعمقت فى الاطلاع كثيرا حتى استطاعت أن تكتب بهذا الأسلوب ! غير انها بلغ بها الجبروت الى حد انها حشرت عددا كبيرا جدا

من الألفاظ المسكينة التى ليس لها سبيل الى الفكاك الا بالالتجاء الى القضاء !

لوسى : آه يا سير لوشيوس لو انك سمعتها كيف تتحدث عنك !

سيرلوشيوس : حسنا • بلغيها انى سأكون لها أحسن زوج فى العالم • ثم ستظفر ضمن الصفقة بلقب لادى أوتريجر ـ ولكننا يجب أن نحصل على موافقة السيدة العجوز أولا • وبعد ذلك نفعل كل شىء على أحسن ما يرام !

لوسى : عفوا • سير لوشيوس • كنت أظن أنك لست غنيا الى الحد الذى تبلغ معه هذا القدر من الظرف !

سيرلوشيوس : وشرفى أيتها الفتاة لقد أصبت المرمى ••• اننى فقير الى الحد الذى لا يمكننى معه أن أقوم بعمل قذر • وانى وان لم أكن فى حاجة الى نقود فانى لا أتورع عن أن أسرق سيدتك وثروتها بأكبر قدر من السرور ـ ومع ذلك يا فتاتى الجميلة (يعطيها النقود) هاك شيئا بسيطا تشترى به شريطا • وقابلينى فى المساء لأعطيك الرد على هذا الخطاب ••• والآن خذى يا حلوة هذه القبلة مقدما (يقبلها) لكى تتذكرى !

لـــوسى : يا الهى يا ســير لوشــيوس ! أنا لست من هــذا الصنف وسيدتى لن تحبك اذا كنت وقحا الى هذا الحــد •

سيرلوشيوس : أقسم بشرفى انهــا ســتحبنى أكثر • لوسى ! ان ذلك الشىء الذى ــ ماذا يسمونه ؟ الحياء ــ هو صفة تُمدَحها النساء أكثر مما تُحَبها • وعلى هذا فاذا سألتك سيدتك اذا كان سير لوشــيوس قد قبَّلك مرة فى حياته فقولى لها خمســين مرة يا عزيزتى •

لـــوسى : ماذا تقول ؟ أتريدنى أن أكذب عليها ؟

سيرلوشيوس : كلا • أيتها اللعوب ! سأجعلها حقيقة فى الحال !

لـــوسى : يا للفضيحة • هناك أحد قادم ؟

سيرلوشيوس : يمينا • سأريح ضميرك قريبا •

(يرى فاج فيخرج وهو يصفر لحنا) •
(يدخل فـــاج) •

فـــاج : كذا • كذا • يا ست ! •• بكل خضوع أرجوك المعذرة •

لـــوسى : يا الله ! مستر فاج فى هــذا الوقت • انت مزعج الى حد كبير •

فـــاج : دعك من هذا يا لوسى . لا يوجد أحد هنا ! وعلى ذلك فمن فضلك شيء قليل من البساطة مع خردلة أو خردلتين من اخـــلاص .. أنت تهزأين بى أيتها السيدة . لقد رأيتك بعينى تعطين البـارون خطابا . ان سيدى يجب أن يعلم هذا ـ واذا هو لم يبارزه فسأبارزه أنا !

لـــوسى : ها ها ها . أنتم يا سادة يا من تخـدمون السادة الآخرين متسرعين فوق ما ينبغى ، ان هذا الخطاب من السيدة مالابروب أيها الأبله ... لقد وقعت فى شرك غرامه .

فـــاج : يا للدهشة ! ما أغرب أذواق بعض الناس ! كيف ذلك وقد مررت أمام شباكها مائة مرة ! ولـكن ما أخبـار سـيدتنا الصغـيرة ؟ أما من شيء أنقله لسيدى ؟

لـــوسى : أخبار سيئة يا مستر فاج ؟ لقد جـد خصم أخطر من أكرز ! سير أنتونى أبسوليوت عرض خطبتها لابنـه !

فـــاج : من ؟ كابتن أبسوليوت ؟

لـــوسى : أى نعم . لقد سمعت الحديث كله !

فـــاج : ها • ها • ها • حسن جـــدا وشرفى • الوداع يا لوسى يجب أن أذهب بهذا الخبر !

لـــوسى : مهلا • اضحك ما تشاء • ولكنه خبر صحيح • أؤكد لك • (يحاول الخروج) مستر فاج أخبر سيدك أن لا يبتئس لهذا !

فـــاج : حقا • انه سيحزن لذلك كل الحزن !

لـــوسى : وحـــذره من أن يفكـــر يوما فى مقـاتلة مستر أبسوليوت !

فـــاج : اطمئنى ! اطمئنى !

لـــوسى : واســـتوثق من أن تأمره أن لا يستســلم لليأس أبدا !

فـــاج : سنكون عند حسن ظنك !

(يخرجان منفردين) .

الفصل الثالث

المنظر الأول : المنتزه الشمالى

(يدخل أبسوليوت) .

أبسوليوت : اذن فالأمر كما أبلغنى « فاج » تماما ! يا للواقع الذى يشبه الخيال حقا ! . أبى يريد أن يكرهنى على الزواج من نفس الفتاة التى أنا أتآمر على الهرب بها ... رائع ! غير انه لا ينبغى أن يعرف الآن شيئا عما بينى وبينها من علاقة . فان له نهجا مبتسرا فى معالجة مثل هذه الأمور .

والآن لا مفرّ من الاعتراف له بخطيئتى فورا . لعمرى ان توبتى ستكون مباغتة ولكنى أستطيع أن أؤكد له انها صادقة كل الصدق . سنرى . ها هو ذا قادم . يعلو وجهه عبوس شنيع .

(ينتحى جانبا) .

(يدخل سيرانتونى) .

سير أنتونى : كلا . الموت أحب الىّ من أن أغتفر ذنبه ! الموت نفسه ! هل قلت الموت ؟ لا . بل لأعيشنّ خمسين

سنة أخرى كى أقتله غماً وكمداً .. فى لقائنا الأخير كادت وقاحته تُخرجنى عن طَوْرى . ولد عنيد . حاد الطبع . صعب المراس . تُرى عمن ورث هذه الصفات ؟ هذا هو جزاء ولادتى له قبل جميع أشقائه وشقيقاته وعى الحاقى اياه بالجيش العامل وهو بَعدُ فى الثانية عشرة من عمره ! ومنحه فوق مرتبه خمسين جنيها فى العام منذ ذلك . لكن . انتهى كل ما بينى وبينه . لا يعنينى أن يكون ابنا لأىّ آدمى آخر ! لن أراه بعد اليوم ! لن أراه . لن أراه . أبدا . أبدا . أبدا . !

أبسوليوت : (على حدة) فلنضع قناع التائب الأسف .

سير أنتونى : يا هذا ـ أغرب عن وجهى .

أبسوليوت : سيدى انك لترى أمامك تائبا نادما .

سير أنتونى : انما أرى أمامى وغدا وقحا .

ابسوليوت : بل تائب توبة نصوحا جاء يعترف بخطئه ويخضع لمشيئتك الخضوع كله .

سير أنتونى : ما معنى هذا ؟

أبسوليوت : لقد فكرت وأطلت التفكير فتذكرت ماضىَ طيبتك ورقتك وعطفك علىّ .

سير أنتونى : ثم ماذا أيها السيد ؟

أبسوليوت : لقد وازَنتْ وتأملت ما تفضلت بذكره بخصوص الواجب والطاعة والسلطة الأبوية ..

سير أنتونى : ثم ماذا أيها الشاب المغرور ؟

أبسوليوت : ثم كانت نتيجة ذلك التأمل هو العزم الأكيد على أن أضحّى كل ميولى فى سبيل رضائك .

سير أنتونى : الآن تتكلم عن عقل راجح . لم أسمع فى حياتى قولا أعقل من هـذا ـ عليك اللعنـة ـ سأناديك بجاك ـ كما فعلت دائما .

أبسوليوت : انى سعيد بهذه التسمية يا أبى .

سير أنتونى : أحقا اذن ؟ جاك ! عزيزى جاك ! انى سأُنبِئُكَ الآن مَنْ تكـون تلك الفتـــاة . ان غضَـبك وعُنْفَك أيهـــا الأحمق هما اللذان حالا دون انبائك من أول الأمر ! .
فاستعد الآن يا جاك . استعد للدهشـة والنشوة معا ! استعد ! ما رأيك فى الآنسة ليديا لانجوش؟

أبسوليوت : لانجوش ؟ هيه ـ أهى من عائلة لانجوش التى فى مقاطعة ورسترشير ؟

سير أنتونى : ورسترشير ! لا . ألم تلتق أبدا مع مسز مالابروب

وابنة أخيها مس لانجوش اللتين حضرتا الى بلدتنا قبيل أن تستدعى الى فرقتك ؟

أبسوليوت : مالابروب ! لانجويش ! لا أذكر أبدا انى سمعت هذين الاسمين من قبل ! ولكن ! مهلا أحسب انى أذكر شيئا من هذا ـ لانجويش!لانجويش! هل هى فتاة حولاء العين ضئيلة الجسم حمراء الشعر ؟

سير أنتونى : حولاء ! حمراء الشعر ! يا للشيطان ! كلا .

أبسوليوت : اذن لا بد انى نسيت . لا يمكن أن تكون هى نفس الفتاة ! .

سير أنتونى : جاك . جاك ! . ما رأيك فى زهرة يانعة فى السابعة عشرة من عمرها ؟ تتنفس حباً خالصاً !

ابسوليوت : أما عن هذا يا سيدى . فانى عديم الاهتمام بالمرة! لكن اذا أنااستطعت أن أرضيك فى هذا الأمر . فتلك هى كل أمنيتى !

سير أنتونى : صبرا يا جاك . لكن عيناها ! كم هما فاتنتان فى براءة . كم هما فاترتان من حياء . ما من نظرة الا وتتحدث بالحب وتشعل فكره ! ثم خداها يا جاك ! تعلوهما حمرة الخجل القانية . الخجل مما توحى به عيناها من حديث ! ثم يا جاك

شفتاها ! واهاً لشفتيها يا جاك اذ تبتسمان عندما تشاءان • فإن كفتا عن الابتسام فتالله انهما لأحلى وأشهى اذا مطتا غضباً واعراضاً •

أبسوليوت : انهما لكذلك فعلا ! ـ (على حدة) أحسنت أيها السيد الكبير ! •

مسيو أنتونى : ثم رقبتها يا جاك • آواه • يا جاك ! يا جاك ! •

أبسوليوت : وأيتهما التى ستكون من نصيبى • يا سيدى • ابنة الأخ أم عمتها ؟

مسيو أنتونى : عجبا أيها العابث الذى لا يشعر ولا يحس • أنا أحتقرك ! عندما كنت فى سنك كان وصف كهذا كافياً لأن يجعلنى أطير كالصاروخ • العمة ؟ ويحك ! ما أعجب ما تقول ! يوم أن هربت مع والدتك • لم أكن أرضى أن ألمس شمطاء ولا عجوزا ولو نلت من ورائها امبراطورية بأكملها !

أبسوليوت : ولو كان فى ذلك رضا والدك يا سيدى ؟

مسيو أنتونى : رضا والدى ! يا للشيطان • ولا رضا ••• كلا • والدى ! هذا يختلف • نعم نعم • اذا كان والدى قد أراد شيئا • فهذا أمر آخر • ولو انه لم يكن ذلك الوالد البار مثلى يا جاك •

ابسوليوت : أتجاسر فأقول لا يا سيدى •

سير أنتونى : ولكن أنت لا يكدرك يا جاك أن تجد صاحبتك على هذا القدر من الجمال ؟

ابسوليوت : سيدى • انى أعيد ما قلت من انى اذا استطعت أن أرضيك فى هذا الشأن فَتِلكَ هى كل أمنيتى !• لا أقصد بذلك أن جمال المرأة يُنقص من قدرها عندى • ولكن أرجو أن تتذكر يا سيدى انك سبق أن أشرت الى حَدَبة أو حَدَبتيْن ! والى عين عوراء وما شاكل ذلك مِن محاسن الصفات • لذلك لا أجد بُداً من أن أقول — ولو لم أكن ظريفا جدا فى ذلك — انى أفضّل اختيار زوجة كاملة العدد من الأعضاء ومحدودة الكمية التى على الظهر • أما فيما يختص بالعيون • فانه وان كانت العين الواحدة مناسبة جدا لكن العُرف قد جرى على تفضيل العينين الاثنتين • وأنا لا أحب التظاهر بالانفراد برأيى فى هذا الصدد •

سير أنتونى : يا له من أبله بارد المزاج ! قَسَماً انك راهب ناسك ! أيها السيد ! كتلة من المادة حقيرة صماء ! أنت جندى ؟ أنت لوح متحرك لا تصلح الا لنفض الرداء العسكرى عليه • هذا غريب ! انى لأوشك أن أتزوج الفتاة أنا نفسى ! •

أبسوليوت : أنا تحت أمرك الى النهاية يا سيدى . اذا فكرت فى أن تتقدم أنت لخطوبة مِس لانجوش فأحسب انك توافق على أن أتزوج أنا عَمَّتها . أما اذا غيَّرت فكرك وأخذت السيدة العجوز ـ الأمر يستوى عندى ـ فسأتزوج الآنسة أنا!.

سير أنتونى : بشرفى يا جاك . اما أن تكون مرائيا من الدرجة الأولى أو ... لكن اسمع . أنا أعرف أن ادعاءك عدم الاهتمام بهذا الأمر مَحْض كذب . أنا واثق أن السبب فى ذلك .. تعال هنا . لعنة الله على وجهك البادى البراءة ! تعال . اعترف . جاك لقد كنت تكذب . أليس كذلك ؟ كنت تنافق وترائى . هيا . ثق انى لن أغتفر لك كذبك ورياءك اطلاقا .

أبسوليوت : يؤسفنى يا سيدى أن يُسَاء الظن باحترامى وعرفانى بواجبى ! .

سير أنتونى : لِيَذْهَبْ احترامك وواجبك الى الجحيم ! لكن تعالَ معى الآن وسأعطيك خطابا لمسز مالابروب وستذهب لترى الآنسة فى الحال . ان عينيها ستكونان لك بمثابة الشُعلة السماوية ! تعال معى . واعلم انى لن أغفر لك أبدا اذا لم تعد وأنت مغرق فى الجنون تدلها وشغفا . فاذا لم تعد كذلك فقَسَماً لأتزوجنَّ الفتاة أنا .

(يخرجان)

المنظـــر الثـــانى

غرفة الملابس الخاصة بجوليـــا .
(فولكلاند وحـــده) .

فولكلاند : أبلغونى أن جوليا ستعود فورا ! ـ عجبا انها لم تصل للآن !

ما أحطّ ما تبـدو طبيعتى الأنّانة اللوّامة أمام تفكـيرى الهـادىء المتّزن ! بيـــد انى لا أعرف أمراً آخر تتجلى فيه طبيعتى تلك • الاّ فى هـذا الأمر فحسب ! وحيال هذه السيدة التى أعتقـد انها أعز علىّ من نفسى ! ومـع هـذا فأنا دائب الغضب فى لؤم دائم النزوة فى جنون ! انى على بيّنة من طبيعتى ولكنى لا أملك لهـا اصـلاحا ! أيّةُ فرحة نبيلة رقيقة تتألق فى عينيها عنـدما ترانى ! أيّةً رقةً تفيض بها حرارة تعبيراتهـا ! انى لأخجل اذْ أرانى أقلّ سعادة مما ينبغى••• بيد انى انمـا جئت وأنا مصمّم أن أرتدى قنـاعا من الجمود واللَّوْم • ولكن وجود سـير أنتونى حال دون الافصاح عما كنت أعتزم ترديده ••• على كل حال يجب علىّ أن أستوثق انها لم تكن موفورة السعادة جدا • أثناء بعدى عنها ـ ها هى

قادمة ! نعم ! انى لأدرى بخفة خطواتها عندما تعلم أن حبيبها الذى فقد الصبر يعدّ لحظات غيابها عنه .

(تدخل جوليا) .

جوليا : لم أكن أؤمل أن أراك ثانية بهذه السرعة .

فولكلاند : أيمكننى يا جوليا أن أقنع منك بأول مقابلة مع انا كنا مقيدين بحضور شخص ثالث .

جوليا : أوه يا فولكلاند ! بينما تستطيع بحنانك أن تجعلنى جَدَّ هذا سعيدة لا تدَعنى أتصوّر انى اكتشفت بعض الجفاء فى سلامك الأول !

فولكلاند : هذا محض خيال منك يا جوليا ! لقد سررت فعلا برؤيتك . برؤيتك فى هذه الصحة ـ الحق انه لم يكن لدىَّ سبب للجفاء . ؟

جوليا : كلا . كلا . لا بد انك أسأت فهم شىءٍ ما . يجب أن لا تُخفى عنى ما هو !

فولكلاند : حسنا . اذن فلأعترف لك أن سرورى بما سمعته عن صحتك وعن وصولك الى هنا من جارك السيد أكرز قد كَدَّره بعضَ الشىء مبالغتُه عن تلك الروح العالية التى تمتعت بها فى ديفونشاير .

وعن مَرَحك • وأغانيك • ورقصاتك • وغير ذلك مما لا أعلم ! علماً بأن طبيعتى يا جوليا هى انى أعدُّ كل لحظة مَرَح أقضيها فى غيبتك خيانة للوفاء • ان الدموع المشتركة التى تنساب على خدود العاشقَيْن لحظةَ الوداع لهى عهد بينهما أن لا تُشرق ابتسامة لدى أيِّهما الا بعد أن يلتقيا مرة ثانية •

جوليا : هل قُدِّر على أن أظل أجلب لعزيزى فولكلاند هذه النزوات الصغيرة المزعجة ؟

وهل يحق للهذر الذى ينقله اليك فظ أبله أن يرجح فى قلبك على حبى الثابت الوطيد •

فولكلاند : لم يَرجح لدىّ على شىء يا جوليا •• لا •• لا •• ! انى لسعيدٌ ما دمت أنت سعيدة ! فقط قولى لى أنك لم تُغَنِّ بمنتهى المَرَح • وانك كنت تفكرين فى فولكلاند بينما كنت ترقصين !

جوليا : محال علىّ أن أكون سعيدة فى غيبتك • فاذا أنا أرتديت قناعا من القناعة فما ذلك الا لأظهر أن عقلى لا يتسرب اليه شك فى اخلاص حبيبى فولكلاند • أما اذا أبديتُ الحزن ففى ذلك نصرٌ للاحتفاد وللأقاويل التى تردّدُ انى نذرت

قلبي لمن تركني أنعى غيابه وأنعى ثقتي معا ـ صدّقني يا فولكلاند أنا لا أقصد لومك اذا قلتُ لك اني طالما كتمت الحزن تحت البسمات حتى لا أدَع لأصدقائي سبيلا لمعرفة مَنِ ذلك الذي كانت قسوته مصدراً لدموعي ! .

فولكلاند : أنت الطيبةُ كلها مجسمةً يا جوليا ! سُحقاً لي ! اني أكون وحشا اذا سمحت للشك أن يتسرب الى صادق وفائك ! .

جوليا : بصرف النظر عن ادعائك هذا الذي لا أُسَلِّم بصحته . اذا أنت وجدت من عواطفي تحولا قيد أنملة . فاني أستحق أن أكون مثال السخرية سواء لطيشي أو لنكراني للجميل .

فولكلاند : مهلا يا جوليا . ان هذه الكلمة الأخيرة لتدَوّي في أذُني . لكم أتمنى ألا أستحق ولاءك ! فتشي في ثنايا قلبك يا جوليا ؟ فربّما كان الذي أخطأت فحسبته حبا ـ ان هو الا الاحساس الدافيء المنبعث من قلب شكور ! .

جوليا : لأية صفة يجب عليّ أن أحبك ؟

فولكلاند : للصفة اطلاقاً فان تقديرك لي على أساس العقل أو الادراك لا يخرج عن كونه احتراما فحسب...

أما فيما يختص بهيئتى فلطالما وددتُ أن أكون مُشوَّها حتى أحس أن محبتك لى غير نابعة من حسن مظهرى .

جوليـــا : اذا أسبغَت الطبيعة على ملامح الرجل مسحةً من الجمال فواجبه أن يضحك عليها لأنها فى غير موضعها ...ولكم رأيت رجالا يفضلونك فى هذه الناحية التافهة ولكن قلبى لم يسأل عينى أبدا هل هذا صحيح أم لا ! .

فولكلاند : ليس هذا بجميل منك يا جوليا . أنا أحتقر الجسم فى الرجل ولكن اذا كنت تحبيننى حقا كما أريد فانى اذا كنت عبدا حبشيا فستحسبين أنه ليس فى العالم من هو أكثر منى جمالا .

جوليـــا : هأنذا أراك دائبا على القسوة ... ان العَقْد الذى ربطنا به أبى المسكين يعطيك امتيازا أكبر من امتياز الحب .

فولوكلاند مرة ثانية يا جوليا تثيرين آراء تزيد من شكوكى وتبررها لدى « .. ما كنت أوثر أبدا أن أكون أكثر حريةً ! كلا ! أنا فخور بارتباطى بك .. ولكن .. ولكن ربما كان عظيم احترامك لذلك العقد الموقَّر هو وحده الذى قيَّد ميولك وحال

بينك وبين اختيار من هو أفضل ... أنّى لى أن أستوثق من انك اذا ظللت حرة من كل قيد وعهد كنتُ أظلُّ أنا موضع حبك الدائم .

فولكلاند : اذن اختبرنى الآن ! لتتحرر الآن من ربقة الماضى ! ان فؤادى لن يستشعر حرية أكبر . !

فولكلاند : أرأيت كم أنت متسرعة يا جوليا ! كم أنت شديدة الشوق الى الحرية ! لو أن حبّك لى كان طاغياً متشبثاً بى لما رضيت أن تُخفّفى من قبضتك علىّ ولو أردت أنا ذلك !

جوليا : أواه . ان تعذيبك لى بلغ آخر المدى من القلب . لم أعد أتحمل ! .

فولكلاند : ما أردت تعذيبك . فلو كان حبى لك أقل مما هو الآن لما سببت لك لحظة واحدة من الكدر ... ولكن استمعى لى . ان كل شكوكى المزعجة تنشأ من هذا : النساء ليس من عادتهن أن يَزِنّ ويتبينّ أسباب عواطفهن فقد يخطئن مقتضيات الحكمة والولاء وحق البنوة ظنا منهن أن ذلك هو نداء القلب .. أنا لا أفاخر بما لدىّ ولكن اسمحى لى أن أذكر انى من حيث السن والجسم والخلق ليس بى ما يعاب . أما من حيث الثروة فان كرائم

السيدات يندر منهن من تُتَّهم بالحمق اذ تتطلَّع الىَّ !

آه يا جوليا ! عندما يلبس الحب هذا الرداء من الحكمة ، فان العقول الحَصِيفَة سترتاب فى مولده .

جوليـــا : لست أدرى آلامَ ترمى تلميحـاتك ؟ بما انهـــا تُنحى باللوم علىَّ فَسأُو فَرِّ عليك الأسف علىَّ ما فعلت ! أنا لم أفعل شيئا يستوجب هذا ! .

(تخرج والدموع فى عينيها) .

فولكلاند : الدموع فى عينيها ! تمهلى جوليا . انتظرى لحظة واحدة . الباب موصد ! جوليا ! يا روحى ! لحظة واحدة فحسب ! أسمعُ نشيجَها ! ويلى ! كم أنا متوحش حتى أعاملها هكذا ! لكن مهلا — أجل — ستأتى الآن — فَمَا أوهن العزم عند المرأة ! ان بضـع كلمات رقيقـات تستطيع أن تُرجعَهن ! لا وربى ! انها لن تَرجع اطلاقا — لمـاذا يا جوليا يا غرامى ؟ قـولى فقط انك تسامحيننى . تعـالى لا لشىء الا لتقـولى ذلك .... والآن ان هـذا الغضب أكثر مما ينبغى .. صبرا . لا بد انهـا آتية . أعتقد ذلك ! هى لا تثبت على حال واحـد! لا بد ان ذهابها مجرد حيلة اذن — لن ترى كم آلمنى ذلك ! اذن فلأتظاهر بعدم المبالاة (يصفر

لحنا ثم ينصت) لا ! يا للشيطان ! ليست قادمة ولا تنوى ذلك فيما أعتقدُ ! هذا ليس بثبات ولكنه عناد ! بيد انى أستحق ذلك ! ويحى أبعد هـذا الفراق الطويل أعكّر صفاءها ؟

كم كان ذلك عملا وحشيا خلوا من الرجولة ! يجب علىّ أن أستحى من رؤيتهـا الآن .. فلأنتظـر حتى تخف وطأة غضبهـا ـ اذا أنا أغضبتها مرة ثانية كهذه فانى سأفقدها الى الأبد ! ـ وبعد ذلك أبدلها بأخرى فظة شمطاء لها شـهوة قارضة وسلاطة لسان متوارثة يجعـلانى أظـلّ ألعنُ بلاهتى نصف نهارى وطول ليلى .

المنظر الثالث

مسكن مسز مالابروب

(مسز مالابروب فى يدها خطاب والكابتن آبسوليوت) :

مسز مالابروب : كونك ابن سير أنطونى • يا كابتن • كان كافيا وحده للتوصية عليك • بيد أنى أرى فى ذكاء محياك ما يقنعنى بأنك أهلٌ للخُلُق الذى وُصِف هنا !

أبسوليوت : اسمحى لى يا سيدتى أن أقول لك أنى لم أستمتع بعد برؤية مس لانجويش على الاطلاق وان أهم اغراء لى فى هذه المهمة فى الوقت الحاضر هو شرف الارتباط بمسز مالابروب التى يلهج كل لسان بكفايتها العقلية وسلوكها الرفيع وعملها غير المتكلف •

مسز مالابروب : سيدى انك لتُسبغ علىّ الشرف كله • أرجو يا كابتن أن تتفضل بالجلوس (يجلس) ! آه • قليل من الرجال المهذبين فى هذه الأيام من يعرفون كيف يقدرون الصفات العقلية عند المرأة ! قليل من يفهمون أنه يجمل بالمرأة الفاضلة أن تكون على قدر صغير من المعرفة ! لم يعد لدى

الرجال الآن من احســـاس الا بزهرة الجمال التى لا قيمة لها ! .

أبسوليوت : ذلك وأيم الحق أصـــدق مما يجب يا سيدتى ! ولكننى أخشى أن السيدات حقيقات بأن يشاطرن الرجال اللوم ! أنهن يعتقدن أن اعجابنا بالجمال مفرط الى حد أصبحت معـه المعرفة لديهن أمرا ثانويا بَحْتاً . ولذا فقد صرن أشبه شيء بأشجار الحدائق يندر ما ينبتن من الثمر الى أن يَعصف الزمن بهنّ فيودى بأزهارهن اليانعة ... بيد أن هنا لك قليلات شبيهات بمسز مالا بروب وشجرة البرتقال من حيث اخصابهن فى الأمرين فى آن واحد ! .

مسز مالابروب : سيدى . انك لتقهرنى بنبيل سجاياك !! انه تفاح الأدب نفسه ! لعلك لا تجهـل يا كابتن أن تلك الفتاة العابثة المـاجنة سبق لها أن عَلِقَت بملازم حقير مُتَسَكِّع يتسمَّع على الأبواب لا أحد منا رآه ولا أحد يعرف عنه شيئا !

أبسوليوت : أجل سمعت عن هذه الفعلة الرعناء من قبل . بيد انى لا أحْمِلُ لها من أجل ذلك موجدةً ما !

مسز مالابروب : أنت طيب القلب جدا . كبير العقل جدا أيهـــا

الكابتن • أنا واثقة انى فعلت كل ما فى وسعى منذ أن كشفت هذا الأمر • من وقت بعيد أصدرت لها تعاليم جازمة بأن لا تفكّر فى ذلك الفتى أبدا • ثم اطلعتها على الخطوبة التى تقدم بها سير أنتونى باسمك ولكن يؤسفنى أن أقول انها يبدو عليها أنها مصممة على أن ترفض كل ما أعرضه عليها ! •

أبسوليوت : أنه شىء مؤلم جدا يا سيدتى !

مسز مالابروب : أف • لقد سبّبَتْ لى الهيدروستاتيكا بدرجة فظيعة • ظننت أنها انقطعت عن مراسلته ولكن أنظر هأنذا اليوم فقط أضبط خطابا مرسلا لها من ذلك الفتى • أعتقد أنه هنا فى جيبى ! •

أبسوليوت : (منتحيا جانبا) يا للشيطان ـ انه خطابى الأخير •

مسز مالابروب : نعم • هذا هو !

أبسوليوت : (منتحيا جانبا) ويحى ! هو خطابى ذاته • يا للخائنة الحقيرة لوسى •

مسز مالابروب : خذ • ربما تعرف الخط • (تناوله الخطاب)

أبسوليوت : أجل • أظن انى رأيت هذا الخط من قبل • أعتقد جازما انى رأيته من قبل •

مسز مالابروب : دعك من هذا واقرأ يا كابتن .

أبسوليوت : (يقـــرأ) « يا مُنْيَـةَ النفس . يا معبـــودتى ليديا » ! ـ رقيق جدا ـ حقا !

مسز مالابروب : رقيق ! نعم ودَنِس كذلك . يا للضمير !!

أبسوليوت : (يقرأ) انى لَمُنْزَعِج الى حد بعيـد من النبأ الذى أرسلتِه لى خصوصا وأن خِصْمى الجديد

مسز مالابروب : هذا هو أنت يا سيدى .

أبسوليوت : (يقرأ) يحظى باجماع الناس على أن له خلقا سيد مهذب وأنه رجل شريف » .
حسنا ـ شىء جميل .

مسز مالابروب : عجبا ! لابد أن لهـــذا الفتى مأربا فى أن يكتب هكذا !

أبسوليوت : هذا لا ريب فيه . وأنا يمكننى أن أجيب عنـــه يا سيدتى !

مسز مالابروب : لا . استمر فى القراءة وسترى فى الحال .

أبسوليوت : (يقرأ) « أما بخصـــوص تلك العجوز الشبيهة بالتنِّين الكَسِيح التى تتولى المحافظة عليك » .. من عساه يقصد بهذا ؟ .

مسز مالابروب : أنا يا سيدى ! أنا ! هو يقصدنى أنا بهذا ! مارأيك الآن ؟ لكن استمر بعد ذلك قليلا .

بسوليوت : يا له من شرير وقح (يقرأ) « ستُصعَّب الأمور علينا ولكنى سأتغفَّل رقابتها فلقد أبلغت أن نفس الغرور الجدير بالسخرية الذى يجعلها تضع المساحيق على سحنتها الفظة . وتحاول تحسين حديثها بألفاظ صعبة هى نفسها لاتفهمها ... »

مسز مالابروب : هاك يا سيدى هجوما على لغتى !! ماذا ترى فى هذا ؟ قذف فى أجزاء الكلام الذى أتكلمه ! هل يمكن أن يوجد وحش كهذا ؟ ألحق انى اذا كنت أهتمُّ بشىء فى هذا العالم فانما هو منطق لسانى وحسن ترتيب أسلوبى !

بسوليوت : هذا الفتى يستحق أن يُشنَق وأن يُقطَّع جسمه الى أربع . فَلْنَبْتَسِمْ (يقرأ) « هذا الغرور نفسه »

مسز مالابروب : لا حاجة بك الى القراءة ثانية يا سيدى .

بسوليوت : أرجو معذرة يا سيدتى . (يقرأ) « يجعلها عُرْضَةً لأفظع ضروب الانخداع عن طريق مداهنتها والتظاهر بالاعجاب بها » ياله من محتال وقح ! « وعلى هذا فقد أعددت طريقة لرؤيتك فى القريب العاجل برضى تلك الشمطاء بل انى

سأجعلها هى نفسها الوسيطة فى مقابلتنا ، هل من تبجح مثل ذلك ؟ .

مسز مالابروب : هل سمعتَ فى حياتك شيئا كهـــذا ؟ سيتغفل رقابتى ! هل يفعل ؟

نعم ــ نعم ــ ها ها . انه كبير الأمل فى اقتحام هذه الأبواب !

سنرى من منا الذى يُحسِن التآمر !

أبسوليوت : سنرى طبعا يا سيدتى ! سنرى ! ها ها ها . انه لمـا جن مغرور ها ها ها !

حسـنا . ولكن . يا مسز مالابروب بما أنه يبدو أن الفتاة مدلهة فى حب هذا الفتى فلنفرض اذن أننا أغمضـــنا الأعين عن تراسلهما معا فترةً من الوقت . بل لندعها ــ حتى ترتب معه فراراً . ثم لنتغاض عن ذلك القـــرار . وفى نفس اللحظـة الحرجة أقْدِمُ أنا فأحتجز الفتى . وأعملُ على اختطافها بدلاً منه ! .

مسز مالابروب : أنا شديدة الابتهاج بهـــذه الحيلة . لم أر فى حياتى تدبيراً أذكى من هذا ! .

أبسوليوت : ولكن لى رجاء . ألا أستطيع أن أرى الفتاة بضع دقائق الآن ؟

لى رَغْبَةٌ أن أمتحن طباعها قليلا !

مسز مالابروب : فى الواقع لست أدرى ـ أخشى أن تكـون غ ير مستعدة لزيارة من هذا القبيل ـ يوجد شكليات فى مثل هذه الأمور .

أبسوليوت : يا الهى . انها لن تهتم بالشكليات معى .. حسبك أن تقولى لها « بيفرلى » !

مسز مالا بروب : سيدى !؟

أبسوليوت : (على جانب) تَريَّث أيها اللسان الساذج !

مسز مالابروب : ماذا كنت تقول عن « بيفرلى » ؟

أبسوليوت : آه ! كنت أقترح أن تخبريها . بطريق الهَذْل . أن بيفرلى هو الذى ينتظرها هنـــا . وعلى هـذا فستَأتى بأسرع ما يمكن ـ هـا هـا هـا .

مسز مالابروب : انها لحيلة هى تستحقها كل الاستحقاق ـ وفوق ذلك أنت تعلم أن الفتى يقول لها انه سيحصل على رضاى برؤيتها ها . ها . فليأت اذا استطاع ! أقولها للمرة الثانية ... (تنادى) ليديا . انزلى الى هنـــا ! سيجعلنى أنا الوسيط فى مقابلتهما ! ها ها ها (تنادى) تعالى يا ليديا ! أنا أناديك ! ..

لا أعجب من ضحكك يا سيدى ! ان وقاحة هذه الفتى جديرة بكل استهزاء .

أبسوليوت : نعم وربى جديرة بكل استهزاء يا سيدتى ها . ها . ها . !

مسز مالابروب : البُنيَّة لا تسمعنى .. حسنا . سأذهب وأخبرها فورا من الذى ينتظرها يجب أن تعلم أن الكابتن أبسوليوت قد جاء لزيارتها ... وسأجعلها تتصرف كما يليق بفتاة مهذبة !

أبسوليوت : كما تشائين يا سيدتى . . .

مسز مالابروب : والآن الى اللقاء يا كابتن . آه . أراك لم تنته من الضحك بعد . معك حق . سيتغفّل رقابتى ! نعم . نعم . ها . ها . ها .

(تخرج) .

أبسوليوت : ها . ها . ها . كم أفكر الآن فى أن أُلقىَ عنى كل هذا التنكر دفعة واحدة وأُمسك بحبيبتى مطمئنا آمنا ـ لكن ليديا ذات نزوة عارمَة . قد يؤدى رفع القناع معها الى فقدها فلأتمهل حتى أرى هل تعرفنى !

(يتمشى جانبا ويشغل بالنظر الى الصور)
(تدخل ليديا) .

ليديا : يا للمنظر الذى سأُرغَم على تمثيله الآن ! حقا • لا شىء يمكن أن يكون أفظع من الصبر على الاستماع لنداء الغرام ينبعث الى القلب من فَمِ رجل غريب ! ـ لقد سمعت عن فتيات مضطهدات مثلى لَجَأْن ـ حرصاً منهنّ على الحبيبِ المفدَّى ـ الى نَبْل خصْمه ! لِمَ لا أحاول ذلك ؟ ها هو ذا واقف هناك ذلك الخصم الكريه ـ انه ضابط أيضا ـ ولكن سُحقاً له ما أبعد ما بينه وبين بيفرلى حبيبى ! عجيب منه أن لا يبدأ الحديث ! لعمرى انه خاطب كسول ! • العجيب انه مطمئن كما لو كان فى بيته ! فلأبدأ أنا محادثته ـ مستر أبسوليوت •

أبسوليوت : سيدتى ! (يستدير)

ليديا : يا للسماء ! بيفرلى ! •

أبسوليوت : صه • صه • يا حياتى !! اخفضى صوتك ! لا تندهشى !

ليديا : أنا فى غاية الدهشة ! وفى منتهى الخوف ! و • وفى أقصى درجات السرور بحق السماء ! كيف أتيت الى هنا ؟ •

أبسوليوت : باختصار ـ خدعت عمتك ـ لقد أبلغت أن خصمى الجديد سيأتى هنا هذا المساء . فدبرت أمر ابعاده وقدمت نفسى اليها على أنى الكابتن أبسوليوت .

ليديا : آه . ما أبدع هذا ! وهل هى تحسبك فعلا الشاب أبسوليوت ؟

أبسوليوت : لقد اقتنعت بذلك فعلا !

ليديا : ها . ها . ها . لا يمكننى أن أقاوم الضحك كلما فكرت كيف دحر ذكاؤها .

أبسوليوت : ولكننا نعبث الآن بلحظاتنا الغالية . وفرصة أخرى كهذه قد لا تعود . فلتأذن لى ملاكى العطوف المتواضع أن أرجوه أن يحدد الوقت الذى أستطيع فيه تخليصه من هذا الاضطهاد الظالم . ولى بعد ذلك أن ألتمس منه فى حب مجاز من الجميع ما استحقه من جزاء .

ليديا : أراض أنت يا بيفرلى بالتنازل عن ذلك الجزء من ثروتى الحقيرة ؟
ذلك الحمل الذى يثقل أجنحة الحب ! .

أبسوليوت : أواه . تعالى الى عاطلة من كل شىء الا من الحسن . خالية الوفاض الا من الحب .

وعندئذٍ فما أعظم ما يكون كرمُك ليديا ! لأنك تعلمين • حق العلم أن ذلك هو المَهر الوحيد الذى يستطيع بيفرلى المسكين أن يدفعه لك ! •

ليديا : ماأشد مافى كلماته من اقناع ! وماأحلى ماسيكون الفقر معه !

ابسوليوت : يا حشاشةَ النفس ! أيةُ حياة هنيئة سَنَحْياها معا ! الحب وحده سيكون هو معبودنا وملاذنا ! سَنُقْبِلُ على عباداته عبادةً أشق وأقسى مما يعبد رهبان الدير ! • سَنُحَرِّم على أنفسنا كل متاعٍ فى الحياة سواه • سنجعل منه قبلةَ فكرنا وعملنا معا • سنستشعر الفخار بما ينالنا من مصاب ونُحِسُّ متاعنا فى ضياع ثروتنا وعندئذٍ سوف تُضاعَف ظُلمة المكاره المحيطةُ بنا نور الشعلة التى يضيئها حبنا الطهور !

يا للسماء ! انى لأبعثر بيَدٍ مبذّرة كل ما فى العالم من مال مقابل أن أحظى من حبيبتى ليديا بضمّةٍ واحدةٍ الى صدرى • وأن أصيح معلنا أن الدنيا عن بكرة أبيها ليس فيها غير بَسمة واحدة هى هنا ! (يحتضنها) •

(على جانب) اذا هى لم تستجب لى فان الشيطان يكون قد وسوس لها •

ليديا : أستطيع الآن الهرب معه الى آخر المعمورة ! ولكن الاضطهاد الذى يُحيط بى لم يصل بعد الى لحظة الخطر .

(تدخل مسز مالابروب وهى تتسمع) .

مسز مالابروب : (منتحية جانبا) أنا شديدة الشغف لأعرف كيف ستتصرف هذه الفتاة !

أبسوليوت : طال التفكير يا ليديا ! فهل وَهَنت حرارتك ؟

مسز مالابروب : وهنت حرارتها ؟ كيف ! كانت غاضبة فيما أظن !

ليديا : لا . أبدا ! ما دمتُ على قيد الحياة !

مسز مالابروب : يا للشيطانة الشَّرسة ! ستظل غاضبة ما دامت على قيد الحياة !
أحق ذلك ؟

ليديا : لا تظن أن التهديدات السخيفة التى تفوه بها عَمَّتى المُخَرَّفة لها أىّ وزنٍ عندى !

مسز مالابروب : يميناً ! ما أعرَفَها بواجبها !

ليديا : فلتختر هى الكابتن أبسوليوت . أما أنا فقد اخترت بيفرلى وَهُوَ لى !

مسز مالابروب : أنا شديدة الدهشة من هذا التأكيد • وفي وجهه• في وجهه هو !

أبسوليوت : (يركع) اذن • دَعِيني أمضي في تنفيذ خطتي !

مسز مالابروب : (على حدة) يا للشاب المسكين ! راكعٌ على ركبتيه يلتمس الرحمة ! لا يمكنني أن أتمالك نفسي أكثر من ذلك ! (علنا) ويحك أيتها الثعلبة ! لقد سمعتُ كل شيء !

أبسوليوت : (على حدة) أف ! سُحْقاً لها من رقيبة !

مسز مالابروب : كابتن أبسوليوت • لستُ أدري كيف أعتذر لك عن تلك الفظاظة المزعجة !

أبسوليوت : (على جانب) لا يزال الموقف سليما • فيما أرى (يخاطبها) سيدتي ان بي أملا كبيرا في أن الزمن سيصل بالآنسة الى • • • •

مسز مالابروب : لا أمل يُرتجَى من هذه الفتاة على الاطلاق • ان لها رأسا أصْلَب من الصوّان على ضفاف النيل

ليديا : مهلا يا سيدتي ! بِمَ تتهمينني الآن ؟ •

مسز مالابروب : ويلكِ من ثائرة لا تستشعر الخجل ! ألم تقولي لهذا السيد في مواجهته انك تحبين رجلا آخر أكثر منه ؟ ألم تقولي له انك لن تكوني زوجته أبدا ؟

ليـديا : لا • يا سيدتى • لم أقل ذلك •

مسز مالابروب : يا للسماوات ! أى تبجُّح تُصرّ عليه ! ليديا • ليـديا • يجب أن تعلمى أن الكذب لا يجمـل بالسيدة المهذبة ! ألم تبـاهى بأن بيفرلى • ذلك الأفّاق بيفرلى هـو الذى يستحوذ عـلى قلبك ؟ أجيبى • تكلمى !

ليـديا : هذا حق ياسيدتى ـ ولاأحد فى العالم الابيفرلى !

مسز مالابروب : اخرسى • لا تعيدى هـذا التوكيد ـ لن تكونى فظةً الى هذا الحد !

أبسوليوت : مهلا • أرجوك مسز مالابروب • لا تمنعى السيدة الصغيرة من أن تتم كلامهـا ـ انى أرحب كل الترحيب بما تقول • انهـا لا تسىء الىّ اطلاقا • أؤكد لك •

مسز مالابروب : ان طيبتك أكثر مما ينبغى يا كابتن • وانك لذو صبر جميل جدا ـ والآن تعالى معى يافتاة •• ونرجو أن نراك سريعا يا كابتن •• تذكر ماتفقنا عليه •

أبسوليوت : أجَل يا سيدتى •

مسز مالابروب : تعالى ـ وَدّعى هذا السيدَ وداعاً رقيقاً !

ليديا : ادعو السماء أن تختص بيفرلى ببركاتها .. حبيبي بيف . . . .

مسز مالابروب : اخرسى . . . سأخنق حلقك قبل أن يخرج هذه الكلمة . تعالى هنا ! .

لوسى : ادعو السماء – يخرجون جميعا أبسوليوت يرسل قبلة من فمه بيده لليديا ومسز مالا بروب تمنعها من أن تتكلم .

المنظـــر الرابع

مسكن اكـــرز

أكرز ودافيد (أكرز بعد أن ارتدى ملابسه فـــورا) .

أكـــرز : صحيح يا دافيد ـ هل تظن انى لائق فى هـــذا الرداء ؟

دافيـــد : صدقنى . أنك الآن شخص آخر . ياسيدى . قسماً بالقداس ! وسيكون من حظنـــا أن نرى صورتك ضمن صُوَر نخبة المتأنقين التى تزين حوانيت التصوير فى باث !

أكـــرز : ان الملابس تصنع فرقا كبيرا يا دافيد ! .

دافيـــد : انها هى كل ما هنالك فيما أظن ! فرق ! كيف لا ! ولو انك ذهبت الآن الى (كلود هول) لمـــا عرفتك السيدة العجوز . ولمـــا صدق السيد كبير السُّقاة عينيه ! .

وســتصرخ مسز بيكل قائلة (اللهم احفظنى) . وستُقْبِل بائعة اللبن الشابة وصوت ضحكاتها يُجَلجل لدى الباب . أما دوللى تسترد صديقـــة سيادتكم فسيحمرّ وجههـــا حتى يصبح فى لون

صداری ـ بذمتی • انی لعلی استعداد أن أراهن أنه ليس هنالك كلب واحد فی المنزل الا سينبح بمجرد رؤيتك • كما انی أشك فی أن كلبتك (فيليس) نفسها سوف تهز لك شعرة واحدة من ذيلها !

أكرز : فی الواقع يا دافيد ليس هنـــاك ما هو أهم من « التلميع » !

دافيد : وهذا هو ما قلته بشأن حذاء سيادتكم أيضـا • ولكن لا يطيعنی أبدا •

أكرز : ولكن قل لی يا دافيد • هل لم يحضر مستر (دی لا جراس) الی هنا ؟ فانی يلزمنی أن أتمرن لكی اتقن رقصاتی المختلفة •

دافيد : سأمرّ عليه ثانيةً يا سيدی !

أكرز : حسنا • وانظر اذا كان هنالك أیّ خطابات لی فی مكتب البريد !

دافيد : سأفعل ! لكن • قسماً بالقداس ! لا يمكننی أن أمنع عينی من التحديق الی رأسك ـ فلولا أنی اشتركت فی الطبخ ، لما عرفت أنا نفسی نوع الطبخ لفرط ما تغير منظرك •

(يخـــرج) •

(أكرز يتقدم فی المسرح يتمرن على الرقص)

أكـرز : طأطئ • انزلق • خطّ خطوتين • لعنة الله على أول من اخترع رقصة الكوتيّون انها أصعب من علم الجبر علينا نحن أعيان الأرياف ! حقيقة أنا يمكننى أن أرقص رقصة المنيُوويه بكل سهولة اذا اضطُررت لذلك • وأنا معدود ضمن الذين يحسنون الرقص الريفى – لكن قُبِّحت جميع أنواع الرقص ! لم أهتم أبدا بالانتقال الى الرقص المزدوج – اندمج •• يمين •• شمال •• على كل حال أنا يمكننى أن أرقصها مع أى كابتن فى المديرية ! أما تلك الرقصات الأجنبية اللعينة التى يسمونها الألمانية والكُوتيُّون فهى فوق طاقتى ! لا يمكن أبدا أن أفلح فى تعلمها – رِجْلاى انجليزيتان قلباً وقالباً وهى لا تفهم تلك اللغة الفرنسية الملعونة ! خطوة هنا وخطوة هناك وخطوة لا أدرى أين ؟ لعنة الله علىّ • ان قدمىّ يأبيان أن يُسَمَّيا كَفَّى حيوان ••• ولا شك أن أصابعهما عندها عداء طبيعى للأصابع الفرنسية •

(يدخل الخادم) •

الخـادم : سيدى ! – سير لوشياس أوتريجر هنا يريد مقابلتك •

أكـــرز : ادخله .

(يدخل سير لوشيوس) .

سيرلوشيوس : مستر أكرز . أنا سعيد جدا بعناقك .

أكـــرز : سيدى العزيز سير لوشياس ! أنا أقبّل يديْك !

سيرلوشيوس : عفوا عزيزى . ما الذى أتى بك فجأة الى باث ؟

أكـــرز : يميناً ! لقـد تبعث سراب كيوبيـد (اله الحب) ولكنه أَسْلَمَنى فى النهاية الى أرض منزلقـة موحلة ... وباختصار لقد عُوملت أسوأ معاملة يا سير لوشياس ... لا أحب أن أذكر الأسماء. ولـكن أعلم انى أنا السيد المهـــذب أُسِيءَ الىّ كَأَشَدِّ ما تكون الاساءة !

سيرلوشيوس : قـل لى بربـك ما الحكـاية ؟ أنا لا أسـأل عن الأسماء !

أكـــرز : أصغ الىّ يا سـير لوشـياس . لقـد وقعتُ الى أعمق ما يلزم الوقوع اليـه فى هوى سـيدة فى مقتبل الشباب.. وقد كان أصدقاؤها فى صَفّى.. تبعتها الى باث . وأرسلتُ لها أُنبئها بحضورى.. ولكنى تلقيت الرد وهو يقول ان السيدة ستتحول الى جهة أخرى .. هذا هو ما أدعوه سوء معاملة يا سير لوشياس .

سيرلوشيوس : حقا • انها أسوأ معاملة ـ لكن هـل تستطيع أن تعرف السبب فى ذلك ؟

أكـرز : كيف لا ؟ طبعا ! ان لها حبيباً آخر يدعى بيفرلى وهـو كمـا أُبلِغت موجـود الآن فى باث ـ ياللنميمة • ويا للأكاذيب ! لا بد أن يكون هو السبب فى كل ما حدث !

سيرلوشيوس : يوجد اذن خصم فى الموضوع ؟ وأنت تعتقد انه اقتلعتك بدون حق •

أكـرز : بدون حق ! طبعا • بدون حق ! انه لا يمكن أن يكون قد فعل ذلك بحق •

سيرلوشيوس : اذن فلا شك انك تعلم ما يجب عمله !

أكـرز : أبدا والله لا أعلم !

سيرلوشيوس : نحن لا نحمل سيوفنا فى باث • ولكنك طبعا تفهمنى !

أكـرز : ماذا ؟ أؤقاتله ؟

سيرلوشيوس : نعم طبعا ؟ ماذا يمكن أن أعنى غير ذلك ؟

أبسوليوت : ولكنه لم يستفزنى اطلاقا !

سيرلوشيوس : اسمع ! أنا أعتقد انه استفزك أفظع استفزاز فى

العالم ! هل يمكن للانسان أن يقترف ضد شخص ما اثماً أقبح من وقوعه فى حب نفس المرأة ؟ يا لله ! هـذا اهدار للصداقـة لا يقبـل الغفران بحال من الأحوال .

آكـرز : اهدار للصداقة ! لكن . أنا لا معرفـة لى بذلك الرجل ولا رأيته فى حياتى أبدا .

سيرلوشيوس : هذه ليست نقطة بحث ! فى هذه الحالة هو أقل حقا فى أن يُخَوِّل لنفسه فِعْل ما فعل .

آكـرز : يميناً ! ان هذا لصحيح . أنا أزداد غضبا يا سير لوشـياس ! أنا أشـتعل غضبا سريعـا يا مقـابض السيوف ويا نصالهـا ! كم ذا يحـدث أن يكون الرجل ممتلئا شجاعة وهـو لا يدرى ولـكن ألا أستطيع أنا أن أتحايل كى أحصل على قليل من الحق الى جانبى ؟

سيرلوشيوس : بحق الشيطـان ما الذى تَعْنِيه بكلمة حق فى الوقت الذى يتعلق فيه الأمر بشرفك ! هل تظنن أن آخيل بطل طِروَادَة أو الاسـكندر الأكبر سـأل أحدهما نفسه يوماً أين هـو الحق ؟ كلا وربى أنهما استلا سَيْفَيهما العريضَيْن تاركَيْن وراءهما الكسالى من أبناء السـلام كى يُسَوّوا فيما بينهم . شرعية ما عملوا !

كـــرز : كلماتك تغزو قلبى كأنها هجمات حامل قنـابل ! انى أعتقد أن الشجاعة تُعدى ! اذ لا شـك انى أستشعر الآن ضرباً من البسالة ينمو فى داخلى ضربا من الاقدام فيما أظن .. قسماً بأحجـار الصوان والزناد لأبارزنّه فى الحال !

سيرلوشيوس : أيها الصديق الصغير ! لوكانت هنا قلعة «بلندرباس هول» لأريتك من صُوَر أجدادى من أُسْرَة أوتريجر ما يملأ الغرفة الحديثة بأسرها . كلُّ واحد من هؤلاء الأجداد قـد قتـل خصمه فى الحب ! انه ولو أن منزلنا الـكبير ومزارعنا اللعينة قد تسرَّبت من بين أصابعى فانى أحمد الله الذى حفظ لنا شرف أسْرَتنا وصـور أفـراد العائلة جديدةً كل الجِدَة .

كـــرز : حقاً سير لوشياس ! أنا أيضا كان لى أجداد . كل رجـــل منهـم كولونيـل أو كابتن فى المشـاة . يا للقنابل والمدافع ! كفـاك كلاما . لقـد قويتنى حقا . ان رعـد كلماتك قـد أحال لَبَن العطف البشرى الذى فى صدرى حامضاً أجاجاً . يا للشيطان ! لقد انطبق علىّ تماما قول الرجل فى التمثيلية « كان يمكننى أن أفعـل مثـل هـــذه الأفعال » .

سيرلوشيوس : مهلا .. مهلا .. لا ينبغى أن يكون ثَمّ غضب فى هذه الحالة ، كل هذه الأشياء يجب أن تُنَفَّذ بكياسة .

أكرز : لا يا سير لوشياس يجب أن أكون فى غضب يجب أن أكون فى هياج . يا عزيزى سير لوشياس دعنى فى هياجى اذا كنت تحبنى ـ تعال ! هنا قلم وورق (يجلس ليكتب) وددت لو كان الحبر أحمرا أمْل ! أنا أقول ! أمل ! كيف أبدأ خطابى ؟ قسماً بالرصاص والنصال ! لَأكْتُبَنَّ بخط واضح جرىء على أى حال .

سيرلوشيوس : أرجو أن تملك زمام أمرك ! .

أكرز : تعال ـ والآن ـ هل أبدأ الخطاب بِقَسَم ؟ .. أرجوك يا سير لوشياس أن تجعلنى ـ أفتتحه بِلَعْنَة ! .

سيرلوشيوس : صبرا . صبرا . فلتقدم على الأمر فى شىء من الذوق ككل مسيحى مهذب . والآن اكتب « سيدى » .

أكرز : هذه بداءة مهذبة أكثر مما يجب . تقريبا .

سيرلوشيوس : « لِكَى نحول دون وقوع أية بلبلة فى الأفكار قد تنجم ... »

أكرز : حسنا .

سيرلوشيوس : «من أننا كلينا نتقدم لخطبة نفس السيدة ...»

أكـــرز : نعم • هـذا هو الباعث « نفس السيدة » حسنا • ثم ماذا !

سيرلوشيوس : « فأنا سأكون فى انتظار التشرف بلقائكم » •

أكـــرز : يا للشيطان • أنا لا أدعوه لتناول الغذاء •

سيرلوشيوس : أرجو أن تهدأ •

أكـــرز : حسنا « التشرف بلقائكم » •

سيرلوشيوس : لتسوية الأمر بيننا » •

أكـــرز : حسنا !

سيرلوشيوس : دعنى أفكر • نعم • « منطقة أحراش الملك » • لا بأس به ـ فى « منطقة أحراش الملك » •

أكـــرز : اذن • انتهى الأمر • حسناً • سأغلق الظرف فى الحال ـ شارتى الخاصة ـ وسيكون ختم الشمع الأحمر « يد وخنجر » •

سيرلوشيوس : أنت ترى الآن أن هذا الحل الصغير سوف يضع حدا فى الحال لكل بلبلة أفكار أو سوء تفاهم يمكن أن يقع بينكما •

أكـــرز : أجل • نحن نتقاتل لكى نحول دون سوء التفاهم !

سيرلوشيوس : والآن • فانى أتركك وحدك لكى تحدد الوقت الذى تختاره ـ اقبل نصيحتى وحدّد الميعاد هذا المساء اذا أمكنك • وبعدئذ فليكن أسوأ ما يمكن

أن يكون • على كل حال غداً يُصْبح ذهنك خالياً من كل شيء •

أكـــرز : هذا عين الصواب •

سيرلوشيوس : على ذلك لن أراك حتى هذا المساء • اللهم الا اذا أرسلتَ له خطابا سأتولى شرفَ حمل رسالتك• لكنى سأطلعك على سر • أَعْتَقِدُ انْ سيكون لدىَّ مهمة أخرى مماثلة لمهمتك يجب علىّ انهاؤها •• يوجد هنا كابتن مَرِح قال عنى أخيراً نُكْتَةً لاذعة على حساب قريتى •• وأريد الآن أن أتفق معه على دعوته لمبارزتى •

أكـــرز : قسما بشجاعتى واقدامى انى لأود أن أشاهدك أولا وأنت تقاتل أمامى ، وقسماً بحياتى •• انى لأود أن أراك تقتُله ولو حتى لكى أتعلم من ذلك درسا •

سيرلوشيوس : سيكون من دواعى فَخَارى أن أعلمك ••• حسن والى اللقاء ـ لكن تذكر هذه الآن ـ «عند ملاقاتك لخصمك افعل كل شيء بلباقة وهدوء» لتكن شجاعتك شديدة المضاء ولكنها ينبغى أن تكون فى نفس الوقت نظيفة مصقولة كسيفك تماما •

(يخرجان متفرقين) •

الفصل الرابع

المنظر الأول : مسكن أكرز

أكرز ودافيد .

دافيد : أقسم بالقداس يا سيدى ـ ما كنت لأفعل شيء كهذا أبدا . وما كان لأى « سير لوشياس أو تريجر » فى الدولة كلها أن يحملنى على القتال متى كنت غير راغب فيه !
يا لله ماذا عسى أن تقول السيدة الكبيرة عندما تسمع بذلك ؟

أكرز : آه يا دافيد . لو انك سمعت سير لوشياس وهو يتكلم .. قسماً بالشرر والشعل اذن لأيقظ شجاعتك .

دافيد : لا . ليس هو الذى يوقظ شجاعتى !! أنا أمقت السفاكين الذين يحبون اراقة الدماء ... استمع الىّ يا سيدى . لو انك أردت ن تلعب دورا فى الملاكمة أو المصارعة أو ما شاكل ذلك ما كنت لأكون الرجل الذى يطلب اليك العدول عنه .. ولكن فيما يختص بالطعنات والطلقات . ما علمت أبدا أن خيراً ما جاء من ورائها .

كـــرز : ولكن شرفى • يا دافيد • شرفى ! يجب علىّ أن أعتنى بشرفى جدا ! •

دافيـــد : نعم وحق القداس وأنا أيضا يجب علىّ أن أعتنى به جدا • ولكنى أظن انه يجب على شرفى مقابل ذلك أن لا يفعل أقل من أن يعتنى بى جدا هو الآخر • !

كـــرز : قسماً بالنصال • يا دافيد ليس ثَمَّ سيدَ مهذب يمكنه أن يخاطر بفقد شرفه !

دافيـــد : وأنا أقـول كذلك أنه يَجْمُل بالشرف أيضـا ألا يخـاطر بفقـد السيد المهـذب • اصـغ الىّ يا ســـيدى • يبـدو لى أن ذلك الشرف انما هو صديق كاذب كل الكذب ، أى وأيم الله • انه أشبه شىء بخـادم القصـور الملكيـة •• لنشرح الأمر ••• أنا سيد مهذب (وحمدا لله ألا أحد يدعونى كذلك) • حسنا • شرفى اقتضانى مقاتلة سيد مهذب آخر من معـارفى وعلى هـذا تقاتلنا (الى هنا حسن جدا) • ثم • قُبحاً لى ! قتلته ! (وهذا طبعا لِحُسْن حظى) • والآن • أرجوك أن تخبرنى من الذى سـينتفع بميزة انتصارى ؟ شرفى بغير شك ! ••• لكن دعنا نفترض الوجه

الآخر .. انه هو الذى قتلنى ! ثم بحق القداس أنا أذهب الى الدود .. بينما شرفى يُسرع بالانضمام الى عدوى !

أكرز : لا . لا . يا دافيد . فى هذه الحالة . قسماً بالتيجان وبأكاليل الغار . ان شرفك يتبعك الى القبر !

دافيد : هوّن عليك . هذا هو المكان الحق الذى يمكننى أن أستغنى فيه عن الشرف !

أكرز : بحق الشيطان يا دافيد انك لجبان ... لا يليق بشجاعتى أن تُنصتَ اليك ـ ماذا تقول ؟ هل أجلب العار لأجدادى ؟ فكّر فى هذا يا دافيد! فكّر ماذا يكون الحال اذا أنا جلبت العار على أجدادى !

دافيد : عفوا اذا أنا قلت لك أن خير سبيل لكى لا تجلب العار على أجدادك هو أن تظل بعيدا عن مقابلتهم أطول مدة ممكنة ... اصغ الىّ يا سيدى . بدلاً من أن تسرع بالذهاب اليهم ورأسك محشوة بالرصاص . خير لهم أن تتركهم وحدهم ! ان أجدادنا ناس طيبون جداً . ولكنهم آخر ناس أُحبُّ أن أزورهم زيارة لقاء وتعارف .

كـــرز : ولكن يا دافيد ! قل لى ! أنت لا ترى أن هنالك خطرا جسيما جدا جدا جدا • ويحك ! بالتأكيد• ان النـاس غالبـا ما يتقـاتلون دون أن يحـدث شَرٌ ما !

دافيـــد : قسما بالقداس • أظن هذا صحيحا بنسبة واحدٍ الى عشرة فقط يا للشياطين ! وعندما تقابل رجلا له رأس أسد وفى احدى يديه سيوف لعينة من ذات ـ المـاسورتين ـ وفى الأخرى مسـدسات حادة قاطعـــة ! فَلْيَحْمِنى الله • ان مجـرد التفكير فى ذلك • يُصيبنى بالرعشة ! تلك أسلحة مجنونة قتالة متعطشة للدماء • لم أستطع فى حياتى أن أواجهها • ومنذ طفولتى لا أميل اليها••• فى رأيى انه لا يوجـد على وجـه الأرض وحشٌ أشـدُ افتراسـاً • وأقل رحمةً من مسدسـك المحشوّ بالرصاص •

كـــرز : يا للرحمن ! لا ! أنا لن أخاف ـ قسماً بجنـون الغضب ولهيب النـــار • انـك لن تقـــدر أن تُخيفَنى ـ هذا هو طلب المبارزة• ولقد أرسلتُ فى طلب صـــديقى العزيز جاك أبسوليوت كى يحمله نيابةً عنى •

دافيد : نعم • نعم • باسم الشر ! ليكن هو رسولك • أما عنى أنا فمحال أن أمد يدا واحدة ـ للمساعدة فى هذا الأمر ولو أعطيتنى أحسن جواد فى اصطبلك ! قسما بالقداس • هذا الخطاب لا يشبه غيره من الخطابات • انه « كما أقول » خطاب له قلب داهية وله وجه شرير ـ انى أراهن أنه يحمل رائحة البارود التى يحملها جراب الجندى •• سحقاً له ! ليس فى وسعى أن أضمن انه لن ينطلق مفرقعا فى الحال !

أكرز : أخرج ! أيها الجبان ! أنت أقل شجاعة من جرادة •

دافيد : حسنا • لن أقول شيئا بعد الآن ـ سنسمع أخبارا حزينة فى « كلود هول » ! لا شك فى ذلك ولكنى قد فعلت ما •• مسكينة كلبتك « فيليس » ! كم ستعوى عندما تسمع الخبر ! مسكينة تلك الكلبة • ما أقل ما تُفكّر فيما سيُقدم عليه سيّدُها من تراشق بالرصاص •• وانى أراهن أن « كروب » العجوز الذى حمل سيادتكم فى الطريق وفى الميدان هذه السنوات العشر سيلعن الساعة التى وُلِد فيها •

(يبكى كالولد الصغير) ••

أكـــرز : لا تتعب نفسك يا دافيـد • لقـد صـممتُ على القتـال • فاذهب أيهـــا الجبـان • وأنا لا أزال محتفظا بهدوئى •

(يدخل خادم) •

الخـــادم : كابتن أبسوليوت يا سيدى !

أكـــرز : حسنا • أدخله الى هنا • (يخرج الخادم) •

دافيـــد : انتهى الأمر ! أدعو السماء أن تقضى بأن نكون جميعا على قيد الحياة فى مثـل هـذه الساعة من الغـد •

أكـــرز : ما هذا الذى تقول ؟ لا تُثر هياجى يا دافيد !

دافيـــد : الوداع يا سيدى • (يبكى كالطفل) •

أكـــرز : أخرج من هنا أيها الغراب الناعق اللئيم الجبان •

(يخرج دافيـــد) •

(يدخل أبسوليوت) •

أبسوليوت : ماذا جرى يا بوب ؟

أكـــرز : أبلهُ دَنِسُ أجبنُ من شـاة ! اذا لم تـكن لى شجاعة القديس جـورج واذا أنا لم أتخـذ من التنين حذاء لى ••••

خذ هذا • (يعطيه الخطاب) •

أبسوليوت : يقرأ « الى الضابط بيفرلى (على جانب) « كذا • ما الذى حدث ؟ »

حسنا ما هذا ؟ •

أكـــرز : تَحَدٍّ للمبارزة !

أبسوليوت : حقاً ! ولـكنك لن تنازلَه يا بوب • هـل أنت معتزم ذلك يا بوب ؟

أكـــرز : نعم • وربى • سأفعل ـ يا جاك ! سير لوشياس قد حفزنى لذلك • لقـد تركنى وأنا مُفْعَمٌ غضباً • وقـد نويت أن أقاتل هـذا المساء حتى لا أدع كمية كبيرة من الغضب الصـارخ تذهب هبـاء •

أبسوليوت : لكن ماذا عساى أفعل بهذا ؟

أكـــرز : أمر بسيط ! بما انك • فيمـا أظن • تعلم شـيئا عن هذا الفتى فانى أريد أن تبحث لى عنـه وأن تعطيه هذا التَّحَدِّى القاتل !

أبسوليوت : حسنا • ناولنى اياه وأنا كفيل بتسليمه له •

أكـــرز : شكرا لك يا صديقى العزيز • يا عزيزى جاك • ولكن هذا الأمر سيجشّمك قـدرا كبـيرا من التعب •

أبسوليوت : لا • لا تعب اطلاقا • أرجو أن لا تذكر ذلك مرة أخرى • ليس هنالك تعب بالمرة • أؤكد لك •

أكـــرز : انت لطيف جـدا • ما أعظم أن يكـون للانسان صـــديق ! ــ ألا يمكن أن تكون شـاهدى فى المبارزة • أيمكنك يا جاك ؟

أبسوليوت : كيف ! لا يا بوب ــ فى هـــذه المسـألة بالذات لا يمكن • لن يكون ذلك أمرا سَائِغاً بالمرة •

أكـــرز : لا بأس ! اذن لا بد لى من أخـذ صديقى سـير لوشـــياس ــ على كل حال سأَحْظَى بتمنياتك الطيّبة يا جاك !

أبسوليوت : فى كل مرة يلتقى بك فيها • ثِقْ من ذلك !

(يدخل خادم) •

الخـــادم : سير أنتونى أبسوليوت تحت • يسأل عن الكابتن •

أبسوليوت : سآتى حالا • حسنٌ أيها البطل الشاب • أرجو أن يلازمَك النصر • (يحاول الخروج) •

أكـــرز : انتظر • انتظـر يا جاك • اذا حـدث أن سألك « بيفرلى » عنى « أىّ نوعٍ من الرجال صديقك اكرزْ فقل له « انى عفريت من الجن » ــ هل لك فى ذلك يا جاك ؟

أبسوليوت : ثق انى سأفعل ــ سأقول له انك « كلب عنيـد » ماذا ترى يابوب ؟

أكـــرز : أى نعم • قل • قل •• واذا أرعبـه ذلك فعسى أن لا يأتىَ أبدا • قل له أيضا انى أقتُلُ بمعدل رجل فى الأسبوع ـ هل لك فى ذلك يا جاك ؟

أبسوليوت : سمعا وطاعة ـ سأقول له انهم يسمونك فى الريف « بوب المقاتل » •

أكـــرز : تماما ! تماما ! ذلك كله للحيلولة دون وقـــوع الشر ••• أنا لا أريد أن أنتزع حياته فى سبيل الدفاع عن شرفى •

أبسوليوت : طبعا ! هذا منتهى اللطف منك !

أكـــرز : كيف • أنت لا تريدنى أن أقتله • هل تريد ذلك يا جاك ؟

أبسوليوت : لا وشرفى • أبدا • لا أريد • ولـكن « عفريت من الجن » أليس كذلك ؟

(يحاول الخروج) .

أكـــرز : صحيح ! صحيح ! ولكن انتظر يا جاك • يمكنك أن تزيد أيضا انك لم ترنى من قبل أبدا فى مثل هذه السَّوْرة من الغَضب • الغَضب المُلْتَهِم الفتَّاك •

أبسوليوت : سأفعل • سأفعل •

أكـــرز : وتذكر يا جاك أيضا (كلب عنيد) !

أبسوليوت : نعم ـ و « بوب المقاتل » !

(يخرجان متفرقين) .

المنظر الثانى

مسكن مسز مالابروب

مسز مالابروب ــ ليديا

مسز مالابروب : عجبا أيتها الفتاة الناشز ! قولى لى ما الذى تكرهين منه ؟

أليس رجلا وسيماً ؟ كلمينى • أليس رقيقاً ؟ أليس مثلاً بديعاً للرجولة ؟

ليديا : (على حدة) (هى لا تدرى من الذى تمتدحه)! هذه هى أوصاف (بيفرلى) يا سيدتى !

مسز مالابروب : دعى المقارنة يا آنسة من فضلك ! المقارنة لا تليق بالفتيات الصغيرات ! لا • ان الكابتن أبسوليوت هو بكل تأكيد رجل فاضل رقيق !

ليديا : (على حدة) أى نعم • الكابتن أبسوليوت الذى رأيتُه هنا !

مسز مالابروب : ثم هو مهذب أحسن تهذيب • ممتلىءٌ حيوية وذلاقة لسان • ولديه الكثير الذى يستطيع أن يتحدث به عن نفسه • وفى لغةٍ كلها ابداع ! وفيزياؤه نحويّة جدا ــ ان محض وجوده يشيع

النبـل ! وأؤكد انى بمجرد أن رأيتُـه تذكرت قول هملت فى التمثيلية :

خصلات شَعْر آله الشمس »

« جبين أيوب نفسه »

عين • كآله الحرب • مُهَدِّدة آمرة »

« مركـز كمركز هـارى ميركيورى • رسـول رب الأرباب •

ثم شيء خاص – بتقبيل فوق ربوة عالية – الواقع أن المشابهة وضحت لى فى الحال •

ليـديا : (على حدة) كم ستغضب الآن عنـدما تكتشف خطأها !

(يدخل خادم) •

الخـادم : سير أنتونى وكابتن أبسوليوت تحت يا سيدتى !

مسز مالابروب : ادخلهم الى هنا ••• (يخرج الخادم) •

والآن يا ليديا أنا ألح عليك أن تَتَصرَّفى كما يليق بفتـاة صـغيرة اظهـرى حسن تربيتك على الأقل • ولو انك قد نسيتِ واجبك تماما •

ليـديا : يا سيدتى • لقـد أبْلَغْتُك قـرارى ! أنا لست فقط سأمتنع عن تشجيعه • بل انى لن أخاطبه ولن أنظر اليه •

(ترمى نفسها على كرسى ووجهها متجه نحو البـــاب) .
(يدخل سير أنتونى وأبسوليوت) .

سير أنتونى : ها نحن يا مسز مالابروب جئنا لكى نخفف من تَجَهُّم الجمال العنيد ـ والصعوبة البالغة التى أحضرت بهـا هـذا الشاب الى هنـا ـ لا أدرى ما الحكاية ؟ ولـكن . اذا لم أكُن أمْسكْتُه بالقوّة لَفَرَّ منى هاربا .

مسز مالابروب : انت تتحمل عناءً لا آخر له فى هذا الأمر يا سير أنتونى . أنا خَجِلةٌ ممن تَسبَّب فى كل ذلك ! ليديا . ليديا . قومى أرجوك !
(على حدة) قَدِّمى احتراماتك !

سير أنتونى : أرجو يا سيدتى أن تكون مس لانجوش قد أطالت التفكير فى قدر هذا السيد . وفى الاحترام الواجب لاختيار عمتها . ولموافقتى أنا على ذلك ـ (على حدة) والآن يا جاك تحدث معها .

أبسوليوت : (على حدة) يا للشيطان . ماذا عساى فاعل ! أنت ترى يا سيدى انها حتى لا تريد مجرد النظر الىّ فى حضرتك . لقد كنت أعلم ذلك من قبل وقد أبلغتُك اياه . فاسمح لى أن أرجوك يا سيدى أن نُتْرَك وحدنا .
(يرى وهو يتحدث محتجا لوالده) .

ليديا : (على حدة) عجيبة أنْ لم أسمع صراخ عمتى حتى الآن ! لا بد انها لم تنظر اليه . أو أن ملابسهما الرسمية متشابهة وهى لا ترى بوضوح .

سير أنتونى : أؤكد لكَ انى لن أنقل قدمى من هنا الآن !

مسز مالابروب : يؤسفنى يا سير أنتونى أن أقول ان ثرائى على ابنة أخى ضعيف جدا ... (على حدة) أديرى وجهك لنا يا ليديا .. انى أحمر خجلا منك !

سير أنتونى : هل أسمح لنفسى أن أرجو من مس لانجوش أن تُحَدّد سبب كراهيتها لِنَجْلى ! (على حدة) لِمَ لا تبدأ الحديث أنت يا جاك ؟ تكلم أيها الشاب الخجول . تكلم !

مسز مالابروب : مستحيل أن يكون لديها سبب ما . يا سير أنتونى .. لن تقول ان لديها ـ (على حدة) جاوبى أيتها العنيدة . لِمَ لا تجاوبين ؟ .

سير أنتونى : اذن يا سيدتى أنا أعتقد أن ميلاً صبياناً مُتَسَرّعاً لا يجب أن يقف حائلا دون سعادة جاك (على حدة) وَيلَكَ ! أيها السيد . لِمَ لا تتكلم ؟

ليديا : (على حدة) يُخيَّل لى أن حبيبى أقل منى ميلا الى الكلام ـ لقد بلغ ضعف النظر عند عمتى درجة عجيبة !

أبسوليوت : «احم» • احم • سيدتى • احم • (يحاول الكلام ثم يرجع لسير أنتونى) • بشرفى يا سيدى • أنا متحيّر لدرجة شنيعة ـ بلغ بى الارتباك أقصى حد ! لقد أبلغتُك انى سأكون على هذه الحال يا سيدى • عَرَفتُ ذلك مقدما •• ان الـ • الـ • الرجفة التى انتابتنى من جراء انفعالى سلبتنى كل بَدَاهةِ ذهنى !

سير أنتونى : ولكنها لم تسلبك صوتك أيها الأبله •• أم هل سلبتك اياه أيضا ؟
قم • وخاطبها فورا !

(أبسوليوت يشاور لمسز مالابروب ان تتركهما وحيدين) .

مسز مالابروب : سير أنتونى • هل لنا فى أن نتركهما وحدهما ؟ (على حدة لها) •
تَباً لكِ • أيتها الفتاة العنيدة الشَّكِسة !

سير أنتونى : لحظة واحدة يا سيدتى • لحظة واحدة (على حدة له) باسم الشيطان ما هى حكايتك حل الرباط الذى يربط فكيك • أيها السيد •• والا •

(أبسوليوت يقترب من ليديا) .

أبسوليوت : (على حدة) لتكن مشيئة السماء أن يشتدّ عنادها

لدرجة أن لا تُطِلَّ نحوى ! يجب أن أغيِّر صوتى ...

(يتكلم بصوت منخفض أجش) .

ألا تسمح مس لانجوش بأن تُسْلِمَ أُذُناً الى النبرات الهادئة المنبعثة من حب صادق ! ألاَ ...

سير أنتونى : بحق ابليس . ما الذى يؤلم هذا الشاب ؟ لماذا لا ترفع صوتك بدلا من أن تقف هكذا تَنِقّ كما تَنِقّ الضفدعة المصابة بالتهاب فى الزور .

أبسوليوت : ان الـ . الـ . الـ . ان فرط روعتى . و . و . حيائى يخنقانى تماما .

سير أنتونى : آه ! حياؤك مَرّةً أخرى ! استمع الى ما سأقوله لك يا جاك ! اذا أنت لم تتكلم فورا . وبطلاقة لسان أيضا ! فانى سيبلغ بى الغضب حدا فظيعا ! مسز مالابروب ! أود لو أن السيدة تتفضل علينا بشىء أكثر من الوقفة الجانبية .

(مسز مالابروب تبدو كأنها توبخ ليديا) .

أبسوليوت : اذن كل شىء سينكشف . فيما أرى !

(يذهب نحو ليديا ويتكلم برقة) .

لا تندهشى . يا عزيزتى ليديا . تكَتَّمى كل مظاهر الدهشة الآن .

ليديا : (على حدة) يا الهى ! انه صوت بيفرلى ! مستحيل أن يكون قد خدع سير أنتونى أيضا !

(تنظر حولها بدرجات بطيئة ثم تجفل) .

هل هذا ممكن ! عزيزى بيفرلى ! كيف حدث هذا ! بيفرلى حبيبى !

أبسوليوت : (على حدة) آه ! قُضِىَ الأمر !

سير أنتونى : بيفرلى ! الشيطان بيفرلى ! ما الذى يمكن أن تعنيه هذه الفتاة ؟

هذا هو ابنى أنا جاك أبسوليوت !

مسز مالابروب : يا للعار ! أيتها البنت الشكشة ! يا للعار ! رأسك يحوم حول ذلك الفتى الى درجة انك أصبحت تَرَيْنَه هو دائما أمام عينيك ! اسألى الكابتن أبسوليوت المعذرة فورا .

ليديا : أنا لا أرى كابتن أبسوليوت بل حبيبى بيفرلى !

سير أنتونى : يا للشيطان ! لقد جُنَّت الفتاة ! كثرة القراءة أتلفت عقلها !

مسز مالابروب : قسما انى لأعتقد ذلك ! ماذا تعنين بيفرلى أيتها العنيدة ؟

أنت رأيت كابتن أبسوليوت قبل اليوم . وهذا هو ! زوجك فى المستقبل القريب !

ليديا : من كل روحى يا سيدتى ! اذا أنا رفضت حبيبى بيفرلى .

سير أنتونى : ويلاه ! انها أجنٌ من الجنون ! ـ أم هل هذا الفتى كان يلعب معنا لعبةً ماكرة ؟ ـ تعال هنا أيها السيد . بحَقِّ الشيطان قل لى من أنت ؟

أبسوليوت : يمينا يا سيدى أنا غير متأكد من ذلك أنا نفسى ـ ولكنى سأجتهد أن أتذكر .

سير أنتونى : هل أنت ابنى أم لا ؟ أجب من أجل أمك أيها الكلب انْ لم تُجِب من أجلى !

مسز مالابروب : حقا أيها السيد مَنْ أنت ؟ يا للرحمة ! لقد بدأتُ أشُكُّ !

أبسوليوت : (على حدة) يا قوى الوقاحة .. آزِرِينى ـ سير أنتونى ! بلا أدنى شك أنا ابن زوجتك وأعتقد مخلصا انى ابنك أنت أيضا ! وأتعشم أن قيامى بواجبى نحوك قد دلَّ على ذلك . مسز مالابروب ! أنا المعجَب الشديد الاحترام لكِ . وسيكون من دواعى فخارى أن أضيف « ابن الأخ الودود » ولا حاجة بى أن أخبر عزيزتى . ليديا أنها ترى الآن أمامها المخلص بيفرلى الذى . نظراً لما كان يعرفه عن طبيعتها . الفَذّة الكرم . اتخذ

هـذا الاسم وهـذا المركز وكلاهما كانا امتحاناً صادقاً لأسمى حب مُنَزّه عن الغرض • ذلك الحب الذى يرجو الآن أن يتمتع به على مستوى أرفع وأسمى •

ليديا : بِكَـدر) كذا ! اذن لن يكون هنـالك فـرار مع حبيب !

سير أنتونى : وايمُ الله يا جاك انك لشاب وقح جـدا ـ بل • لِكَىْ أفيكَ حقك أقـول لك انى لم أرَ فى حياتى عملا ينطوى على قِحَةٍ أكبر من هذه !

ابسوليوت : شكرا • هذا تلطف منك يا سيدى • هذه تحية•• انه حيائى • أنت تعلم يا سيدى ـ أن حيائى هو الذى وقف فى طريقى •

سير أنتونى : حسنا • أنا مغتبط لأنك لست ذلك التافه البليد عـديم الاحساس الذى تظاهرت بأن تكونه ••• على كل حال أنا مغتبط بانك تَغَفَّلت أباك أيها الكلب ـ أنا ـ اذن هذا هو سر ندمك وعرفانك بالواجب وطاعتـك ! لقـد ظننتُ أن كل ذلك حدث فجأةً ! أنت لم تسمع بأسمائهم من قبل ! أليس كذلك ؟ مَنْ ؟ أيَّةُ لانجوش فيهم ؟ تلك التى من مقاطعة ورسترشر ؟ هه ؟ اذا استطعت

أن تُرضِيَنى فى هذا الشأن فتلكَ هى كل أمنيّتُك ! ويحك أيها الخبيث المرائى ! ماذا ؟ (يشير الى ليديا) هل هى فتاة حولاء العين • ضئيلة الجسم • حمراء الشعر ؟ هيه !! ما قولك أيها الوغد الصغير المنافق ! أعْجَبُ كيف أنَّك غير خَجِل من أن ترفع رأسك •

أبسوليوت : أفعلُ ذلك بكثير من الصعوبة يا سيدى • انى مرتبك • انى شديدُ الارتباك كما تلاحظ بغيرشك •

مسز مالابروب : عجبا ! يا الله ! سير أنتونى ! نور جديد ينبثق علىّ ! آه • ويحك يا كابتن ! أنت الذى كتبت الخطابات اذن ؟ ماذا ؟ هل يجب علىّ أن أشكرك على كياسة أسلوبك اذ تقول « تلك العجوز الشبيهة بالتِّنِّين الكسيح » هيه ! مرحى ! شكرا ! ـ لقد كنت أنتَ الذى تنتقد أجزاء كلامى •

أبسوليوت : سيدى العزيز • ان حيائى سوف يتخاذل أخيرا اذا أنت لم تَمُدَّ له يد المساعدة ••• سأُصبح غير قادر على الصمود !

سير أنتونى : مهلا • مهلا • مسز مالابروب • يجب علينا أن ننسى وأن نغتفر ! ما أعجب الحياة ! لقد دارت الأمور دورةً ذكيةً مباغتة لدرجة انى أمكننى

أن أجد قلبى وقد امتلأ مرحا ولطفا • هلم صفحاً مسز مالابروب •

مسز مالابروب : حسنا ـ سير أنتونى ـ بما انك تود ذلك فلندع الماضى لحاله • وأنتما أيها الشباب اعلما أن استقراءنا سيكون الى المستقبل •

سير أنتونى : تعالى • يجب أن نتركهما معا ! يا مسز مالابروب انى أراهن أن كلا منهما مشوق لأن يطير الى حضن الآخر ! •• جاك • أليس الخدّ كما وصفتُه ؟ هيه ؟ والعين ! أيها الخبيث ! ؟ والشفة ! هيه ! تعالى يا مسز مالابروب • لن نعكر صفو رقتهما ـ ان هذه اللحظة من حياتهما هى لحظة السعادة ! ـ (يغنى) الشباب هو العهد الذى خُلق للهناء ! هيه ! ما أغرب الحياة ! أنا فى درجة من الحيوية ! لا أدرى ما الذى لا يمكننى عمله ! اسمحى لى يا سيدتى (يعطى لها يده) (يغنى) « تل دى رول • يا الهى كم أحن الى قليل من العبث • أنا نفسى • تل دى رول • دى رول ! » •

(يخرج وهو يغنى ممسكا بيد مسز مالابروب) •

(ليديا تجلس عابسة على كرسيها) •

أبسوليوت : (على حدة) هذا التفكير العميق لا يُبشِّر بخير ـ ••• أراكِ جادةً جداً يا ليديا !

ليديا : سيدى !! -

أبسوليوت : (على حدة) هكذا ! يا الهى ! لقد حَزَرْتُ ذلك! هذه اللفظة الصغيرة قد جمّدت دمى ! ـ ما هذا يا ليديا ؟ الآن ونحن سعيدان برضاء أصحابنا كما أننا سعيدان بعهدَيْنا المتبادلَيْن ..

ليديا : (بنكد) برضاء أصحابنا حقا !

أبسوليوت : مهلا . مهلا . لا مَفرَّ لنا من أن نُلْقى جانباً بعضَ خيالنا . ان قليلا من الثراء مع الرضى ممكن احتمالهما على كل حال . أما عن ثروتك أنت فان المحامين سوف يقومون بالترتيبات اللازمة ....

ليديا : المحامين ؟ أنا أمقُت المحامين !

أبسوليوت : لا بأس فلن ننتظر اجراءاتهم البطيئة بل سنحصل فورا على الترخيص ثم ....

ليديا : الترخيص ! أنا أمقتُ كل ترخيص !

أبسوليوت : مهلا . يا حبيبتى ! بعضَ هذه القسوة ! ودَعينى ألتمس اليك ...

(يركع) .

ليديا : زَيفْ ! أىُّ معنى لِأَنْ تركع لى وانت عالمٌ اننى لا بدَّ أن أكون لك ؟

أبسوليوت : (يقف) كلا • يا سيدتى • لن يكون ثَمَّ ضَغطٌ على عواطفك ! أعِدُكِ هذا ! اذا أنا أضعتُ قلبك • فانى أتخلّى عما عداه ! (على حدة) يا لله لا بد لى أن أحاول ما عسى يَفعله قليلٌ من العاطفة !

ليديا : (تقف) اذن • دَعْنى أُبلغك يا سيدى أن الكَسْب الذى نِلتَه قد حَصَلتَ عليه بِخداع حقيرٍ خالٍ من الرجولة جديرٌ بأن ينال عقوبةَ الاحتيال ! ويحك ! لقد كنتَ تعاملنى كما لو كنتُ طفلةً صغيرة ! تداعبُ خيالى وتقهقه ضاحكا • فيما أعتقد • من أجل انتصارك !

أبسوليوت : أنت تظلمينني يا ليديا • تظلمينني • اسمعى لى فقط •••

ليديا : وهكذا • بينما كنتُ أتخيّل فى ولَع اننا نخدع أقرباءنا ـ مُعَلِّلةً نفسى أنى جديرة بأن أفوقهم ذكاءً وأملأهم غيظاً • جميعاً • اذا بى أرى آمالى تتحطم مرةواحدة برضى عَمّتى وموافقتها• وأبقى أنا وحدى الفِرّة البلهاء أخيرا وبعد كل شىء ! (تتمشى بغضب) ولكن هنا يا سيدى • هنا الصورة • صورة بيفرلى (تأخذ صورة صغيرة من صدرها) التى كنتُ أحملها ليلَ نهار بالرغم

من التهديدات والرجاءات ! هذه هى يا سيدى (تلقى بها اليه) وثق انى ألقى بصاحبها الأصلى من قلبى بنفس السهولة !

أبسوليوت : لا . لا . يا سيدتى . نحن لن نختلف الى هذا الحد ـ هنا (يخرج صورة) هنا مس ليديا لانجوش . . . ما أعظم الفارق ! . أجل . هنا ابتسامة الرضا السماوية التى منحت آمالى الروح والحياة لأول مرة . هنا الشفتان اللتان طبعتا خاتم العهد الذى لم يجف بعد من صفحات تقويم كوبيد ـ وهنا حمرة الحياء المتمنعة التى كانت تود أن تخفف من حرارة شكرى ـ كل ذلك مضى ! ذهب الى غير رجعة !
انظرى يا سيدتى ! من حيث الجمال قد لا تكون هذه الصورة مساوية لك الآن ولكنها من حيث العقل ترجح الاصل قدرا . ذلك لأنها مقيمة على العهد . مقيمة على العهد الى حد أن قلبى لا يطاوعنى على فراقها .

(يضع الصورة ثانية مكانها عنده) .

ليديا : (ترق) هذا من صنعك أنت ياسيدى ! انى ـ انى . انى أظن أنك مقتنع تماما !

أبسوليوت : أجل . بكل تأكيد . لا ريب أن هذا أحسن

بكثير من أن نبقى على حبنا ! ها ها ها يوجد شيء من الشجاعة فى هـــذا ! ما أهميـــة أن يُحَطِّم الانسان بضع عشرات من الوعود الوثيقـــة ؟ كل ذلك لا وزن له • أنت تعلمين ذلك سوف يقـــول الناس بالتأكيد أن هذه الفتـــاة لم تكن على بيّنة من قلبها ! ولكن لا تبالى بذلك ! أو ربما يكونون من سوء الطبع بحيث يلمّحون بأن السنـــيد قد زَهَد فى الفتاة وهجرها ـ ولكن لا تدعى هـــذا يكدرك !!

ليـــديا : لا سبيل الى تحمل وقاحته !

(تجهش بالبكاء) .

(تدخل مسز مالابروب وسير أنتونى) .

مسز مالابروب : (داخلة) تعـــال • لابد أن نُعَطِّـــل مغـــازلتكم ومناجاتكم لحظةً ما •

ليـــديا : هذا أقسى من خيانتك ومن خداعك • أيهـــا الخسيس الجاحد الجميل •

(تبكى وتتنهـــد) .

سير أنتونى : ما الذى حدث الآن ؟ يا للشياطين ! مسز مالا بروب هذه هى أعجب مغازلة ومناجاة سمعتُ بها فى حيـــاتى ! ولكن • ويْحكُم • أىّ معنى لهذا ؟ انى لفى غاية الدهشة !

أبسوليوت : سَل الآنسة يا سيدى !

مسز مالابروب : الرحمة يا الهى ! لقـــد أصابنى التحلل ! فيمـا يختص بى ! لمـاذا يا ليديا ما سبب كل هذا ؟

ليـــديا : سَلِى السيد يا سيدتى !

سير أنتونى : يا للشياطين ! سَيُدْرِكُنى جنُون الغضب ! ماذا هنالك يا جاك لعلك لم تتقمص شخصيةَ واحـدٍ آخر . تكلم ؟

مسز مالابروب : حقاً أيها السيد ! هل هنالك لعبة أخرى أم ماذا ؟ أنت لست الكلب سريبوس الذى كانت له ثلاثة رؤوس فى وقت واحد ، فهل أنت ثلاثة أشخاص معـــا ؟

أبسوليوت : أنتم لا تسمحون لى بالكلام ـ أنا أقول أن هـذه الآنسة تستطيع أن تُعَلِّل ما يحدث خيراً ممـا أستطيع أنا !

ليـــديا : سيدتى . لقـد أمَرْتِنِى مَرّةً أنْ لا أفكّر فى بيفرلى مرةً ثانية ـ هـذا هو الرجـل ـ وأنا أطيعك الآن ـ لقد نبذتُه منذ هذه اللحظة والى الابد !

(تخرج ليـــديا) .

مسز مالابروب : الرحمـــة يا الهى ! ياللمعجزات ! أىُّ تحولٍ

هذا ـ أصدقنى يا كابتن أنت لم تعامل ابنة أخى معاملة خالية من الاحترام !

سير أنتونى : ها • ها • ها ـ ها • ها • ها • الآن فهمت ـ ها • ها • ها • الآن فهمت لقد أظهرت حيوية أكثر مما يجب يا جاك !

أبسوليوت : لا ياسيدى • أُقسم بشرفى !

سير أنتونى : اسمع • لاتكذب ياجاك ـ أنا متأكد ان المسألة هى هكذا !

مسز مالابروب : آه يا الهى ! سير أنتونى ! يا للخزى • يا كابتن !

أبسوليوت : أقسم بحياتى يا سيدى •

سير أنتونى : صه ! لا أعذار يا جاك ! فيم العجب ! ان أباك • أيها الخبيث ! كان كذلك قبلك ـ ان دماء عائلة أبسوليوت كانت دائما عديمة الصبر • ها • ها • ! مسكينة ليديا الصغيرة ! لعمرى • لقد أرعبتها أيها الكلب أرعبتها •

أبسوليوت : أقسم بكل طاهر يا سيدى !

سير أنتونى : باسم الشيطان • لا تتبس ببنت شفة • اصغ الىّ • مسز مالابروب ستتولى مصالحتك ـ يجب أن تتولى مصالحته معها يا مسز مالابروب ـ يجب أن تقولى لها ان هذه هى طريقة جاك ـ قولى لها

ان هذه هى طريقتنا كلنا ـ انهـا تجرى فى دماء أُسْرَتِنا ـ ! تعـال معى يا جـاك . ها . ها . ها . ! مسز مالابروب ـ شيطان صغير !

(يدفعه الى الخارج) .

مسز مالابروب : أوَّاه سير أنتونى ! ـ يا للخزى يا كابتن !

(يخرجون متفرقين) .

المنظر الثالث : المنتزه الشمالى

(يدخل سير لوشيوس أوتريجر) .

سيرلوشيوس : انى لمندهش . أين يُخْفِى هذا الكابتن أبسوليوت نفسه ـ بذمتى ! هؤلاء الضباط يَقفُون عقبةً فى طريق حُبِّ كل انسان . انى لأذكر انى كنتُ على وشك الزواج من « لادى دوروذى كارمن » لولا أن ضابطا صغيرا شريرا برتبة ماجور . هرب بها قبل أن تُلْقِى نظرة واحدةً على ـ انى لمندهش كذلك ما الذى يُعْجِبُ النساء فيهم الى حد أن يَتَدَلَّهْن فى حُبِّهم ـ اللهم الا أن يكون لهم قدرة الحُواة يتصيدون بها الفتيات الصغيرات كما تصاد الثعابين بِخرقةٍ من القماش حمراء اللون .

من ؟ أليس هذا هو الكابتن قادم الى هنا ؟ لعمرى انه هو ! هنالك احتمال لانتصار هذا الشاب ! هذا أمر مثير كل الاثارة ! بحق الشيطان من الذى يتحدث معه ؟

(ينتحى جانبا) .

(يدخل كابتن أبسوليوت) .

أبسوليوت : فى سبيل أىّ غرضٍ نبيل كنتُ أتحايل ! وما أجمل الجزاء الذى نلتُه لقاءَ مساعىّ وايم الله ! ـ أيتها المتوحشة الشريرة ! ما كنتُ أحسبُ أن خيالها يُمكن أن يَصل بها الى هذا الخَرف اللعين اطلاقا !

ويل لى ! لم أكن فى حياتى أشدّ غما منى الآن ! فى وسعى أن أقطع رقبتى بيدى ! أو رقبةَ أىّ شخصٍ آخر فأحسّ أعظم سرور فى العالم ! .

سيرلوشيوس : يا الهى ! هذه فرصة سعيدة ! ما كنت لأجده أبدا فى حالة أشهى من هذه لتنفيذ مأربى ـ حقا لقد أتيتُ فى أدقّ لحظة ـ والآن فلأدخل معه فى الحديث ثم نتقاتل .

(يذهب الى مواجهة أبسوليوت) .

فيما يختص بهذا الأمر يا كابتن اسمح لى أن أختلفَ معك فى الرأى .

أبسوليوت : أقسم انك لابد أن تكون اذَنْ أذكى منى ! ذلك لأنى يا سيدى لم أُبدِ رأيا على الاطلاق !

سيرلوشيوس : ليس هذا سببا ـ اسمح لى أن أبلغك أن الانسان قد يُفكّر تفكيرا غير صحيح كما قد يقول قولا غير صحيح !

أبسوليوت : هذا حق يا سيدى ! ولكن اذا كان الانسان لا يُحرب عن آرائه أبدا • فأظن أنها تقف بمنأى عن الجدال •

سيرلوشيوس : اذن فأنت يا سيدى تختلف معى فى الرأى • وهذا ما ينتهى بنا الى نفس النهاية !

أبسوليوت : اصغ الىّ يا سير لوشياس ـ لولا أنى أعرف من قبل أنك سيّد مهذب ـ فلعمرى ماكنتُ لأكتشف ذلك فى هذا اللقاء ـ لستُ أدرى ما الذى ترمى اليه • اللهم الا اذا كنت تبغى مقاتلتى !

سيرلوشيوس : أشكرك بكل خضوع • يا سيدى • على سرعة بديهتك (ينحنى)
لقد سميت نفسى الشىء الذى أقصده !

أبسوليوت : حسنا جدا يا سيدى • وأنا بكل تأكيد لن أحول دون رغبتك ـ ولكنى أكون مسرورا اذا تفضلت فأعربت عن دوافعك !

سيرلوشيوس : عفوا يا سيدى • كن مطمئنا • هذا القتال • كما هو الآن قتال ظريف جدا • نحن نُفسده اذا نحن حاولنا تفسيره ـ بيد أن ذاكرتك ضعيفة جدا • والا فلا يمكن أن تكون قد نسيت الاهانة التى ألحقتها بى هذا الاسبوع ـ اذَنْ ! اقْصِرْ وسَمِّ الوقتَ والمكانَ •

بسوليوت : حسنا سيدى . حيث انك مصمم على ذلك . فكلما أسرعنا كان ذلك أفضل ـ فلْيكُن هذا المساء ـ هنا بجانب « جنة الربيع » حيث لا يتدخل أحد .

سيراوشيوس : قسما ـ ان التدخل فى مثل هذه الأمور يدلّ على قدرٍ كبير من سوء التربية لا أدرى ما السبب . ولكن فى انجلترا عندما يعلم الناس بشىء من هذا القبيل ـ تراهم يُقيمون الدنيا ويُقعدونها . حتى لا يَعرِف السيد المهذب كيف يُقاتل فى سلام وهدوء ـ فاذا كنت أنتَ من هذا الرأى ياكابتن فانى أعتبرها مكرمةً خاصة منك ـ اذا سمحت أن نتقابل فى منطقة أحراش الملك اذ أن لديَ عملا صغيرا يقتضينى التوجّه الى هناك حول الساعة السادسة . وأودّ أن أُنهىَ العملَيْن الاثنَيْن مرة واحدة .

بسوليوت : سيان عندى بلا ريب . فلْيكُن الميعاد بعد السادسة بقليل حيث يمكننا بحث هذا الامر بطريقة أكثر جدية .

سيراوشيوس : ولتعلم يا سيدى أن الضوء هناك سيناسب استعمال الخناجر التى تطعن وأن كان لا يُجدى فيه استعمال سيوف المبارزة الطويلة ـ والآن وقد انتهت المشكلة فقد ارتاح ضميرى .

(يخرج سير لوشيوس) .

(يدخل فولكلاند ويقابل أبسوليوت) .

أبسوليوت : لقـــاء موفق كنت ذاهبـــا للبحث عنـك . أواه يا فولكلاند . كل شياطين الحقـــد واليأس قد تآمرت ضدى ـ بلغ بى الكمد حدا افتقد معـــه الرغبة فى أن أحدثك عن سببه ، لولا انى أجـد عزاء فى انى سأقتل خلال فترة قصيرة .

فولكلاند : ماذا عساك تعنى ؟ هل غَيَّرت ليديا رأيَها ؟ لقـد كنتُ أعتقد أن واجبَها وأميالَها لاتزال تتَّجه الى نفس الهدَف .

أبسوليوت : أَجلْ . ولكن كما تتجه عينا الرجل الأحول ـ فعندما كانت عين الحب ترنو الىّ كانت الثانيـــة عينُ الواجب تنحرف ببراءة نحو جهة أخرى ـ ولمـا أمرها الواجب أن توجِّهها نفسَ الاتجـــاه اذا بـها هى تدور على عَقبيْها وتولىّ هاربةً وهى عابسةَ .

فولكلاند : ولكن ما حكاية القتل الذى كُنتِ . . . . ؟

أبسوليوت : أجل ـ بكل اختصار . جاءنى هنا أرلندى سـليم للطوية (يقلد سير لوشياس) يستميحنى فى أن ينال مُتعةَ قطع رقبتى ـ وأنا أعتزم امتاعه بذلك ـ هذا هو كل شىء .

فولكلاند : أرجوك أن تكون جادا .

أبسوليوت : انه الحق وشرفى ـ سير لوشـــياس أوتريجر ـ أنت تعرف شـكله ـ لأهانة ما . أنا واثق أنى لم أقصدها بتاتاً ـ قد أرغمنى على مقابلته هذا المساء فى السادسة مساء ـ لهذا السبب أردت أن أراك. يلزم أن تذهب معى .

فولكلاند : لا . لابد أن هنالك خطأ ما بالتأكيد . يجب على سير لوشياس أن يُفْصِحَ عما لديه وأتجاسر أن أقول ان هذه المشاكل يمكن تسويتها ولكن هـل أنت قلت « هذا المساء » ؟

(كنت أود أن يكون أى يوم آخر) .

أبسوليوت : لمـاذا ؟ سيكون هنالك ضوء كاف . سيكون هنالك (كما يقول سير لوشياس ضوء يناسب خنـــاجر الطعن القصيرة وان كان لا يُجدى فيه استعمـال سيوف المبارزة الطويلة !! لعنـة الله على سـيوفه الطويلة !

فولكلاند : ولكنى أنا نفسى شديد الارتباك بشأن خلاف بينى وبين جوليا ـ أن طبعى الانان المرذول دفَعَنى الى معاملتها معاملةً بالغةَ القسوة الى حـــدّ أنى لن أستعيد هدوئى حتى نصطلح معا .

أبسوليوت : بحق السماء ! يا فولكلاند . أنت غير جديرٍ بها .

(يدخل خادم يسلم فولكلاند خطابا) .

فولكلاند : واها يا جاك ! انه من عند جوليا ـ أنا خائف أن أفضّه ـ أخشى أن تكون تودعنى الوداع الاخير ـ أو ربما تأمرنى أن أعيـــد لهـــا خطاباتها وأن أستعيد .. ! واه ! كم أقاسى من جراء جنونى !

بسوليوت : هات . دعنى أراه .
(يأخذ الخطاب ويفضه) .

آه . جملة واحدة لا سواها ! لقد انتهيتَ وأيم الله !

فولكلاند : حسبك جاك ! لا تتركنى فى قلق .

بسوليوت : اذن فاسمع « بما أنى على يقين من أن تفكير عزيزى فولكلاند قد تَولىّ لومَه على قســـوته الأخيرة علىّ . فلن أضيف كلمة واحدة فى هذا الشأن ـ أود أن أتحدث معك بأسرع ما يمكن » .
حبيبتك الوفية دائما جوليا .
هذان هما العناد والغضب الموجهان اليك !
(يناوله الخطاب) .

فولكلاند : أى نعم ـ أنا ـ ولكن ـ ولكن .

بسوليوت : لعنة الله على « ولكن » التى لا تتركك أبدا ! آنت لاتكاد تسمع الخبر الذى لو سمعه سواك لَحَمَدَ الله أجـزل الحمـــد حتى تلاحقَه تواً بلفظتك الملعونة « ولكن » .

فولوكلاند : مهلا ياجاك • بما أنك صديقى المخلص الصادق • فهلا تَظُنّ أن هنالك هدفاً ما • شيئا ما غير برىء فى هذا التسرع بالعفو ؟ ـ لا ينبغى للنساء أن يتقدّمن للمصالحة ـ يجب أن يكون البدء بها منا ـ ينبغى عليهنّ أن يحتفظن ببرودهنّ حتى يُستَعطَفن لِنَيْل عطفهنّ ـ ينبغى أن لايظفر الانسان بعفوهنّ • كما يظفر بحبِّهن • الا بعد المعاناة فى سبيله •

آبسوليوت : ليس عندى من الصبر ما أستطيع به الاصغاء الى ما تقول ـ أنت ميئوس من اصلاحك ! ـ فلا تتكلم فى هذا الموضوع ثانيةً • لابد لى من الانصراف لقضاء بضع حاجات • دَعْنى أراك قبل السادسة ولا تنسى ـ فى مسكنى ـ هلا يُسمح لفتى داهية دؤوب مثلى متفان فى حبه ـ تكبد وعانى ودبر فى سبيل بلوغ مرادِه ثم عاد أخيرا باليأس من جراء جنون سواه • هلا يُسمح له • رحمةً به • أن يَسُبّ وأن يتذمّر ولو قليلا ! • • • ولكن رجلا أنانيا موسوساً فى حبه • عبداً لحماقته وأوهامه ليس لديه من صعابٍ الا ما يخلقُه هو لنفسه • انْ هذا الا مخلوق جدير بالسخرية أكثر مما هو جدير بالاشفاق •

(يخرج آبسوليوت) •

فولكلاند : أشعر بوخز كلماته : بيد أنى لا أقبل أن أستبدل هذه الرقة المتناهية فى الدقة بذلك القُنُوع ـ الغليظ الذى يدوس به هو أشواك الحب ـ على أن ادماجه لى فى تلك المبارزة قد أثار فى رأسى فكرة ـ سأُنَفِّذها حالا • سأَسْتَغِلّ المبارزة كَمِخْبارٍ امتحن به اخلاصَ چوليا وبراءَتَها• حتى اذا ثبتَ أن حبها ذهبٌ نقىٌّ خالص فَسَيَظَلّ اسمى منقوشا عليه يُجَلِّلُه الشرف وعندئذٍ سأُلقى عنى كل شكوكى الى أبد الآبدين ـ أما اذا لم يُسْفِر الا عن خليطٍ من الأثرَة والكبرياء فَمِن الخير لى أن أتركها لعبةً لمجنون آخر أقَلّ منى حذرا كى يُقَدِّم لها آهاته وتنهداته •

(يخرج فولكلاند) .

الفصل الخامس

المنظر الأول : غرفة ملابس جوليا

جوليا (بمفردها) .

جوليا : كم ازْعَجْتنى تلك الرسالة ! ما هو الحادث المريع الذى يعنيه ؟
ولماذا يكون بلاغٌ كهذا مُبْتَسَراً ؟
أواه يا فولكلاند ـ ما أكثر اللحظات التَّعسة
وما أغزر الدموع التى سَتُمْتنى اياها !

(يدخل فولكلاند) .

ما معنى هذا ؟ لِمَ هذا الاضطراب يا فولكلاند ؟

فولكلاند : وأسفاه يا جوليا . لقد جئتُ لكى أودعك وداعاً طويلا .

جوليا : يا الهى ! ماذا تعنى بذلك ؟

فولكلاند : ان الذى أمامَك رجلٌ شقىٌّ ذهبت حياته سُدىً ـ لا ! لا تنزعجى ـ لقد جلب علىّ ضَعْف خُلُقى كل ما أنا فيه من شقاء .
عندما غادرتك كنت غاضباً محتداً فقادنى حادث تَعِس الى قتال . والمسألة الآن هى انى

يجب أن طير من هـذه المملكة فى الحـال ـ آه يا جوليا لو أنه كان لى الحظ بأن أدعوك زوجتى قبل أن تحدث هذه الكارثة اذن لما اعترانى كل هذا الخوف الذريع من النفى !

جوليـــا : انّ نفسى لتذوب أسىً من فداحة مصابك ـ لو أن هذه الظروف المعاكسة نجمت عن سبب أقل خطورة لشعرت براحـة كبرى فى الاعتقـاد بأنى أستطيع الآن أن أنزع من صدرك كل ريب فى شدة اخلاصى وحبى . ان قلبى لا يعرف له حارسا سواك ـ ولذا فأنا الآن أُودِع شـخصى أمانةً لدى شَرَفك ـ سنطير معا ـ وعندما نُصبح فى مأمن من التعقب نُنَفِّذ وَصيَّة أبى ويومئذ أنال الحق فى أن أكـون شريكةَ أحزانك وأَحَنَّ مؤاساتك ويومئـذ تستطيع على صـدر زوجتـك جوليا أن تُخفت سَوْرة نَدَمك الحـادّ ، بينما يمسـح الحب العفيف بيَد مـلائكة جبينك الذى غضّنه اللوم ، ويقتلع من الضمير أشواكَ العذل والتوبيخ .

فولكلاند : آه يا جوليا ! لقـد أفلستُ من كل ما لدىَّ من عرفان للجميل ! ولـكن الوقت يأزف بدرجـة تطالبك باتخاذ قرار جاسم عاجلٍ كل العَجَلة ـ

أَلَسْتِ فى حاجةٍ لبضع ساعات لكى توازنى فيها بين تلك المزايا التى ستَفْقِدينَها وذلك النَّزْر اليسير من الجزاء الذى يستطيع فولكلاند المسكين أن يمنحَك اياه فى ظل حبه المنفرد البعيد.

جوليا : لستُ فى حاجةٍ الى لحظة واحدة ! لا يا فولكلاند لقد أحببتُك لشخصك ليس غير . واذا كنتُ الآن . فوق كل وقت آخر - أعتَزُّ بوقار الاتفاق الذى ربطنا معا منذ عهد بعيد فذلك لأنه لا يدع مجالا لأىّ طعن جارح فى سُمْعتى ولأنه يختم عَقْد الحب بخاتم الواجب - ولكن حسبنا تَلَكأً - فربما كان التأخير ....

فولكلاند : من الأفضل أن لا أجازف بالخروج قبل سدول الظلام - ولكنى جد حزين اذ أتصور العدد الذى لا نهاية له من الآلام التى ستجثم على مزاجك الرقيق !

جوليا : ربما صودرت ثروتُك من جراء هذا العمل التعس - أنا لا أعلم كُنْهَ ذلك . ولكنى على يقين من أن ذلك وحده لن يجلب علينا الشقاء - ان القليل الذى أملكه يُقيم أَوَدنا . ثم ان المَنْفَى لا ينبغى أن يكون بديعا جدا .

فولكلاند : أجل . ولكن حياةً شقيةً كهذه . قد تزيد

طَبْعى الغضوب حِدَّة على حِدَّة حتى أصبح خَشِناً عابساً لا تستطيعين احتمالى ، أو ربما لزمتنى ذكرى الفعلة التى لا يبررها ضميرى ، فَتَظَلُّ تنتابنى نوبات من الكمد والوحشة تجعلنى أكره الرفيق الذى سبب خلاصى وأتخلص من ذراعيك وأقاتل حتى هيامك بى .

جوليا : اذا اتَّخَذَتْ أفكارُك سبيلها فى هذا المنحنى التَّعس فانك لاريب تكون أشدَّ حاجةً الى نفس هادئة عاطفة ترقبك وتُسَلِّيك لعل تلك النفس اذ تتحمل نقائصك فى رقَّة وطمأنينة تُلَقِّنك كيف تتحمل . ما قُدِّر لك من شر .

فولكلاند : جوليا ! لعمرى لقد امتحَنْتك فوقَ الكفاية ! وبعد هذا الفصل العابث أُلقِى عنى كل شكوكى وَرِيبَى ! والآن كيف السبيل الى التماس عفوك عن هذا العمل الذى هو نتيجة سخيفة لِخُلُقى الشكّاك الذى لا يقنع .

جوليا : هل لم يحدث مصابٌ ما كالذى حَدَّثْتَنى عنه ؟

فولكلاند : انى خَجِلٌ أن أعترف لك بأنه مَحْضُ اختلاق . فألتمس اليك يا جوليا رحمةً بى ألا تقتلينى بالغضب من غَلْطَةٍ لن تتكرر أبداً . فاذا ما وضعت خاتم غفرانك لى للمرة الأخيرة .

فغدا تصبحين أمام السماء هاديتى ومهذبتى المقبلة. وسوف تكفر عن سابق جنونى سنوات طويلة من العبادة الرفيقة الحانية .

جوليـــا : صه ـ فولكلاند ! شهد الله كم أنا فرحة لبراءتك من الجريمة التى خفت أن أسميها قبلا !! وهذه هى دموع الشكر من أجل ذلك ! ولكن ان تحفزك شكوكك القاسية الى اختلاق حطم قلبى فذلك ما لا يزال يسومنى الآن العذاب الذى لا أستطيع له وصفا !

فولكلاند : بحق السماء ! جوليا ...

جوليـــا : ومع ذلك أصغ الىّ ـ ان أبى أحبك يا فولكلاند وأنت قد حافظت على الحياة التى أودعها ذلك الأب الرقيق فىّ وكم كنت فرحة حين عهدت فى حضرته . بيدى هذه الى مَن كنت قد عهدت اليه بقلبى من قبل .... ولما أن فقدت بعد ذلك بقليل ذلك الأب ـ خُيّل الىّ كأن العناية الالهية قد أومأت الى كى أنقل الى فولكلاند واجب الشكر وخالص الود فى آن واحد . لهذا كنت راضية أن أتحمل منك ما تأبى علىّ الكبرياء والحياء أن أتحمله من رجل آخر ـ لن أعمد الى لومك بذكر الكيفية التى عبثت بها باخلاص لك .

فولكلاند : أنا معترف بكل ذلك ولكن استمعى •

جوليـــا : بعد هذا العام الطويل من التجربة • كنت أمنّى النفس بانى لم أكن لأستحق أن أهان بتجـربة جديدة لأخلاصى • تجربة شديدة القسـوة ولا داعى لها البتة ! ـ لقد وضح لى الآن أنالقناعة والثقة فى الحب ليستـا من طبيعتـك ـ وما دمت مقتنعة بهذا فلن أكونَ لك أبا ـ بينما كنت أؤمل أن تؤدى عنايتى الدائبة وشـفقتى التى لا تعـرف اللّوْم الى اصـلاح طبعـك على مر الزمن كنت أرجو أن أكون سعيدة بأن أؤثّر تأثيراً طيباً عليك لا أن أمُدّك بقوة مشروعة تُبقِى بها على قيد الحياة خطأً لا سبيل لاصـلاحه على حساب تلك التى لم تكن تحب أن تعارضك أبدا •••

فولكلاند : حقا • ولكن جوليا بروحى وشرفى اذا حدثبعد هـــذا •••

جوليـــا : ثم كلمـة أخـرى ـ بمـا أن ثقتى كانت يوما ما مودعـةً لديك فأنا لن أُود عَهـا ما حييت لدى واحد آخر ـ وسأظل أدعو الله بأصدقاخلاصأن يمنحك السعادة • واذا كانت ثَمَّ نعمةٌ جُلّى أسأل السماء أن ترسلها اليك فهى أن تشفيك من ذلك الطبع التعس الذى حال وحده دون انجـاز

اتفاقنا المقدس – وكل الذى أرجوه منك أن تفكر أنت بنفسك فى ذلك النقص وعندما تعد المسرات الحقّة التى حرمك اياها. فلا يكونن أقل ما تأسف عليه هو ضياع حب واحدة كانت على استعداد لأن تتبعك فى الفقر والمسكنة عَبْر العالم كله .

(تخـــرج) .

فولكلاند : ذهبت ! والى الأبد ! لقد كان فى هيئتها تصميم مخيف سمرنى فى مكانى – أيها المجنون ! أيها الأبله ! أيها المتوحش ! لُعِنْتُ أنا من رجل جمع من النقائص ما لم يجمعه أحد من زملائه الحقراء . يمنحنى الحظ مَلَكاً من السماء يكون عونا لى . فأطرده أنا من جانبى كما يفعل السُّوقى الغليظ ! – يجب أن أسرع الآن الى ميعادى – لعمرى ان عقلى أصبح مُهَيّئاً لمثل هذا المنظر – كان بودى فقط لو كنت أنا الأصيل فيه وأعكس القصة التى لجأنى جنونى اللعين لاختلاقها – آه أيها الحب ! أيها المُعَذِّب القاسى ! أيها العدو اللدود ! يا من له من التأثير ما للقمر يحيل الرجال ذوى النفوس البليدة الى بُلَهاء أما اذا ما التقى بنفوس أكثر حساسية عكس آمالهم وحول حساسيتهم الى جنون .

(يخـــرج) .

(تدخل خادمة وليديا) .

الخـــادمة : كانت سـيدتى هنـا الآن فيما أعلم . ربما كانت فى الغرفة المجاورة .

(تخـــرج) .

ليـــديا : عجبـا لى ! ولو أنه عاملنى تلك المعـاملة الا أنه لا يزال يمـلأ رأسى بشـكل عجيب أعتقـد أن محاضرةً واحدة من ابنة عمى الجـادّة تجعلنى أعود الى ذكراه .

(تدخل جوليـــا) .

ليـــديا : آه يا جوليا . لقد جئتُ اليك وبى رغبة عارمـة فى المواساة ـ يا الهى ! أيتها الطفلة الصغيرة ماذا بك ـ ؟ كنت تبكين ! قُتِلْتُ ! اذا لم يكُنْ فولكلاند قد عذّبك كثيرا !

جوليـــا : أنت مخطئة فى تعليل سـبب انزعاجى ! شىءٌ ما أغضبنى قليـــلا ! شىء لا يمكنك أن تعرفيـه . (على حدة) ما كان لى أن أشكو فولـكلاند ولا لأختى !

ليـــديا : آه ! مهما يكن بكِ من آلام . أؤكد لك أن ما بى يزيد عليها ـ هـل تعلمين مَن الذى اتضـح أنه بيفرلى ؟

جوليـــا : أعترفُ لك الآن يا ليـديا أن مستر فولـكلاند

سبق أن أبلغنى كل المَسْألة ـ اذا كان الشاب أبوليوت هو الشخص الذى حسبته بيفرلى تأكدى أنى لا أقبل أن أكون موضع ثقتك فى هذا الشأن الا اذا أنا بذلت مجهوداً كبيراً فى مقاومة نزواتك !

ليديا : هكذا اذن ؟ أرى أنى قد خُدِعْت من كل انسان ! بيد أن هذا لا يهمنى . لن آخذه أبدا..

جوليا : لا يا ليديا ..

ليديا : كيف لا ؟ ألستُ مُحِقةً فى أن أغضب ؟ بينما كنت أظن أننا مقبلون على أبدع خَطَر يمكن تصوّره اذا بى أجدنى وقد أصبحت آخر الأمر لا شىء غير صفقةٍ فى سوق ! ـ لقد كنتُ أعددت مشروع فرار غرامىّ من أروعها عاطفية !!! تَنكُّر غاية فى التناسق ! سُلَّم من الحبال آية فى الرقة ، البدر الساطع ! أربعة جياد ! قسّيس اسكوتلندى ! ثم أيَّةُ مُفاجأة لمسز مالابروب ثم تلك الفقرات تملأ الصحف ! واه . ـ انى سأموت من اليأس .

جوليا : أنا لا أعجب من ذلك . !

ليديا : والآن ـ أىُّ بديل مُحزن ! ـ ماذا بَقِىَ لى

لأتوقع ؟ بضعة ترتيبات مؤقتة يأمر بها الأسقف وتباركها عمتى ثم أسير الى المحراب أبتسم ابتسامة البلهاء ـ أو ربما نادوا صائحين ثلاث مرات فى كنيسة ريفية حيث يلتمس كاتبٌ ضخم الجسم زَرِيٌّ الهيئة من كل جزارٍ فى القرية أن يوافق على زواج جون أبسوليوت الى ليديا لانجوش العَزْبَة ويلاه ! لا عِشتُ الى اليوم الذى يدعوننى فيه (عزبة) .

جوليا : مَرَضُ السوداء بكل تأكيد !

ليديا : كَمْ ذا يؤلمنى أمضّ الألم أن أتذكر تلك الانفعالات اللذيذة التى كنتُ أستهدف لها كى أظفر بحديث مع ذلك الفتى لايزيد على نصف ثانية كم من مرة سرقت الخُطى فى أشدّ ليالى يناير زمهريرا فأجده فى حديقة الدار منتصباً كأنه تمثال يَقْطر منه الرذاذ ! وهنالك يجثو على ركبتيه فى الثلج يعطس ويكح بشكل مثير للعواطف ! هو يرتجف من البرد وأنا من الخوف ! وبينما تنخر الرياح القارسة فى مفاصلنا كيف يحتضننى ليُدَفِّئنى وليسألنى أن أرحم ما به من نار وأن أتوهج معه فى حرارة متبادلة ! آه يا جوليا تلك كانت أشياء شبيهة بغمرات الحب ! .

جوليـــا : لو كنتُ خَلِيّة البال يا ليديا لما كنتُ ألومك الا بضحكة من صميم القلب أضحكها عليك ولكن الذى تسمح حالتى به الآن هو أن أرجوك مُلِحّةً أن لا تتركى رجلا يحبك بكل اخلاص يقاسى من جراء نزواتك تلك التعاسة التى أعرف جيدا كم تجلبها هذه النزوات .

ليـديا : رباه ! ما الذى أتى بعمتى الى هنا ؟

(تدخل مسز مالابروب وفاج ودافيد) .

مسز مالابروب : عجبا ـ عجبا ـ يا له من حادث هائل !! هذا انتحار رائع ـ قتلُ والد ! تنكر ! وكلها تجرى فى الساحة القريبة . ولا أثر لسير أنتونى لكى يحول دون وقوع الكارثة !

جوليـــا : بحق السماء يا سيدتى ماذا تعنين بهذا ؟

مسز مالابروب : يستطيع هذا السيد أن ينبئكم . فهو الذى ظرّف الموضوع لى .

ليـديا : (الى فاج) نرجوك يا سيّد أن تبلغنا ما عندك !

فـــاج : سيدتى . انى أعتبر نفسى عارياً من كل صفة لازمة لتكوين الرجل ذى التربية اذا أنا تراخيت لحظة واحدة فى تقديم كل المعلومات التى فى وسعى تقديمها لسيدة مهذبة تهتم اهتماما بالغا بالموضوع كاهتمامك أنتِ !

ليديا : ولكن أسرع ـ أسرع أيها السيد !

فاج : أنت على حق يا سيدتى فيما تقولين • ينبغى على الانسان أن يُسرع فى اذاعة الأنباء التى من هذا القبيل لأننا ربما اذا نحن أطَلْنا بينما نحن نتعمّق فحص الموضوع • ربما أضعنا أثناء ذلك حياة شخصين أو ثلاثة أشخاص •

ليديا : أواه يا للصبر ! نرجو يا سيدتى بحق السماء أن تخبرينا بالموضوع •

مسز مالابروب : عجبا ! الموضوع قَتْل ! الموضوع ذَبْح ! الموضوع اغتيال ! ولكنه هو الذى يستطيع أن يخبركم التفصيلات !

ليديا : اذن أرجوك أيها السيد • اختصر !

فاج : عفوا يا سيدتى فيما يختص بالاغتيال فأنا لا يمكننى أن آخذ على عاتقى أن أقول شيئا وأما عن الذبح أو الذبح الخطأ فذلك متروك للمحلفين ليقرروه!

ليديا : ولكن مَنْ هم • أيها السيد • مَنْ هم المشتركون فى هذا القتال ؟

فاج : يمين الله يا سيدتى ! ان أحدهم سيّدٌ فى مقتبل العمر يُحزننى أشد الحزن أن يصيب أىُّ مكروه سيداً له مثل خُلُقه الرفيع جداً ـ لقد عشنا معا طويلا وكنا دائما على وفاق !

ليديا : ولكن مَن هو ذلك مَن ؟ مَن ؟ مَن ؟

فاج : هو سيدى يا آنستى ـ سيدى ـ أنا أتكلم عن سيدى .

ليديا : يا للسماء ! مَن ؟ الكابتن أبسوليوت ؟

مسز مالابروب : آه ! عجبا ! أنتِ مُرتعبَة الآن !

جوليا : ولكن من الذين معه أيها السيد ؟

فاج : عن الآخرين يا سيدتى يمكن لهذا الرجل أن يخبرك خيرا منى .

جوليا : (الى دافيد) تكلم يا صديقى !

دافيد : أصغى الىّ يا سيدتى ! أقسم بالقداس ! هناك شر مستطير ـ فالناس لم يتعودوا على أن يجتمعوا للتسلية ومعهم مسدسات وبنادق ومعدات اطفاء الحريق وستائر النار وشهود النار . ولا يعلم الا الشيطان وحده أيّة مفرقعات أخرى بجانب ذلك ـ كل هذا يا سيدتى لا يمكن أن يُنبىء الا عن غضب وعداء !

جوليا : ولكن من هناك غير الكابتن أبسوليوت يا صاحبى ؟

دافيد : سيدى المسكين ـ ولا تؤاخذينى على ذِكْرى له فى المقدّمة أنت تعرفيننى يا سيدتى ـ أنا دافيد ـ وسيدى هُوَ أو كَانَ هُوَ السيد أكرز ـ ثم يأتى بعد ذلك السيد فولكلاند !

جوليـــا : نرجوك • سيدتى • هيا بنا نحاول فى الحال منع وقوع الكارثة •

مسز مالابروب : يا للعيب ! ليس من اللياقة أن نفعل ذلك ! فاننا سنعقل الأشياء •

دافيـــد : ألتمس اليك أيتها السيدة العمّـة أن تُبقِى علىَ حياة بضعة أشـخاص كلهـم معرضـون للموت صـدقينى ـ خصـوصا وأن هنـالك ذلك الفـظ المُتعطّش للدماء سير لوشياس أوتريجر •

مسز مالابروب : سـير لوشـياس أوتريجر ! يا للرحمـة ! هـل اسـتدرجوا عزيزى المسكين سـير لوشـياس الى القتال ؟ كيف تنتظرين واقفـة أيتهـا البنت ! ان ما عندك من احساس لا يعادل ما عنـد صـخرة متحَجِّرة •

ليـــديا : ماذا عسانا نفعل يا سيدتى ؟

مسز مالابروب : ماذا ؟ تَطِرْن بمنتهى السرعة بكل تأكيد لِنَحول دون وقوع الكارثة ! اذن • أيها الصديق يمكنك أن تدلنا علىَ الطريق •

فـــاج : تفضلىَ يا سيدتى • سـأدلّكم أنا علىَ مكانهـم ـ وأنت يا دافيـد هـل لك فى أن تبحث عن سـير أنتونى •

(يخرج دافيد) .

مسز مالابروب : تعالين . يا بنات ! هذا السيد سيصحبنا . تعال أيها السيد أنت رسولنا . فدلنا على الطريق ونحن نتبعك .

فاج : لا أخطو خطوة واحدة اطلاقا الا بعد أن تتقدم السيدات أولا .

مسز مالابروب : أنت واثق طبعا من معرفتك المكان .

فاج : أظن أنى أستطيع أن أجده . ثم هنالك شيء حسن جدا . ذلك أننا سنسمع طلقات البنادق عندما نقترب . وعلى هذا فلن نضل الطريق لا تخافى أبدا . يا سيدتى لا تخافى أبدا .

(يخرجون وهو يتكلم) .

المنظر الثـــانى : المنتزه القبـــلى

(يدخل آبسوليوت واضعـــا سيفه تحت الرداء الخارجى) .

آبسوليوت : سيفٌ يُرى فى شـوارع (باث) كفيـل بأن يُثيرَ من الذعر ما يُثيره كَلْب كَلب ـ ما أشدّ ما يغيظنى هذا من فولكلاند ـ هو لا يحافظ على المواعيد أبدا ـ سأضـطر الى التوجـه بدونه آخر الأمر .

صـــه ـ يا للشيطان ! هـذا سـير أنتونى ! كيف أستطيع الهرب منه ؟

(يلف وجهه ويستدير كى يعود أدراجه) .

سير أنتونى : كم ذا يُخـدع الانسان على مسافة قريبـة ! لولا انى أرى أنه لا يعرفنى لأقسمتُ أنه هو جاك ! هيه ! يا للسماء ! انه هو بنفسه ! ويحك . جاك مِمَّ أنت خائف ؟ أجل بالتأكيد أنا على صـواب هذا أنت جاك . جاك أبسوليوت !

(يذهب اليـــه) .

آبسوليوت : الحق يا سيدى انه بينما تزعم انكَ تعرفنى فانى لا أذكرُ انى نلتُ هـــذا الشرف ان اســـمى (سودرسون) وأنا طوع أمرك .

سير أنتونى : عفوا يا سيدى ـ لقد ظننتك ـ هيه ؟ كيف • يا للشيطان ! انه هو ـ انتظر (ينظر فى وجهه) كذا ! كذا ! خادمك المطيع يا مستر سوندرسُن! لِمَ هذا • أيها الشرير ؟ أيَّة لعبة جديدة أنت تلعبها الآن ؟

أبسوليوت : لا شىء ! مزاح ! انما جئتُ هنا خصيصا لأبحثَ عنك يا سيدى •

سير أنتونى : حقا ؟ حسنا • أنا مسرور لكونك حسن الحظ الى هذا الحد ! ولكن ما هذا الذى أنت مُلتحفٌ به ؟ لِمَ ذلك ؟ تكلم ؟

أبسوليوت : الدنيا برد يا سيدى • أليس كذلك ؟ البرد قارس الى حد ما ـ أرى انى سأتأخر ولدىّ موعدخاص •

سير أنتونى : انتظر ـ ويلك ـ ألم تَقُل انك كنت تبحث عنى؟ أرجوك يا جاك ـ أين أنت ذاهب ؟

أبسوليوت : ذاهب يا سيدى !

سير أنتونى : نعم ! الى أين أنت ذاهب ؟

أبسوليوت : الى أين أنا ذاهب ؟

سير أنتونى : نعم • أنت • أيها المغرور ؛ غير المهذّب ؟

أبسوليوت : كنتُ ذاهبا • يا سيدى • الى • الى • الى ليديا يا سيدى • الى ليديا • لكى أُصلحَ

الأمور اذا استطعْت ـ وكنتُ أبحثُ عنك
يا سيدى لكى • لكى •

سير أنتونى : لكى أذهبَ معك فيما أظن ـ حسناً هلم بنا معاً •

أبسوليوت : مهلا ! يا للشيطان ! لا • يا سيدى • لا يمكن بأى حال من الأحوال ! أنا أردت أن أقابلك يا سيدى لكى • لكى • لكى • • أنت تشعر ببرودة الجَوّ ـ أنا متأكد يا سيدى • • • يحسنُ بك أن لا تَبقى فى الخارج !

سير أنتونى : برودة الجو ؟ لا برودة على الاطلاق ـ حسنا • جاك • وما الذى تريد أن تقوله لليديا ؟

أبسوليوت : طبعا يا سيدى • أسألُها المغفرة • وأعمل على تسليتها ! وأَعِدُها وأُقْسِم لها الايْمان ولكنى أعوقك • يا سَيدى ـ فكّر فى الهواء البارد وتأثيره على النقرس الذى أنت مريض به !

سير أنتونى : هَوِّن عليك ! لا شىء من ذلك ! لستُ مستعجلاً • ـ آه ! جاك أنتم أيها الشبان • اذا أصابكم مرةً واحدة جرح هنا ـ

(يضع يده على صدر أبسوليوت) •

ويحَك يا للشيطان ما الذى تَحْمِلُه هنا ؟

أبسوليوت : لا شىء • يا سيدى • لا شىء •

سير أنتونى : ما هذا ؟ هنا شيء صلْبٌ لعين !

أبسوليوت : آه ! حلِىّ تافهة يا سيدى • حلِىّ – هدية صغيرة لأجل ليديا !

سير أنتونى : جميل ! دعنى أرى ذوقَك فى الاختيار •

(يخلع عنه الرداء فيقع السيف) .

حلِىّ تافهة ! هدِيَّة صغيرة لأجل ليديا • يا للشيطان أيها السيد ! لا أظنك ذاهبا لتقطع رأسها ؟ ما الحكاية ؟

أبسوليوت : ها • ها • ها • لقد ظننتُ أنْ سيكون فى ذلك تسليةٌ لك • يا سيدى • ولو انى لم أكن أنوى أن أخبرَك الا فيما بعد •

سير أنتونى : لم تكن تنوى أن تخبرنى ! أجل • ان هذه الحِلْيَة مُسَلِّيَة جدا • حقا !

أبسوليوت : سيدى • سأشرح لك الأمر – أنت تعلم • يا سيدى – أن ليديا خيالية • خيالية بشكل مريع • الى حدٍ خرافى جدا بالطبع •• والآن يا سيدى • أنا أعتزم • اذا هى أبَتْ أن تُسامحنى • أن أستلَّ السيف من غمده • وأن أُقْسِم لَألْقيَنَّ بنفسى فوق حَدِّه ولأموتَنَّ عند قدميْها !

سير أنتونى : لَتُلقيَنَّ بنفسك الى الهاوية ! ويلك – انه فيما

أظن الشيء الذى يُبهجُها ؟ انصرف أيها المجنون!

أبسوليوت : حسنا يا سيدى • انك ستسمع عن انتصارى — ستسمع قولى لها « أواه يا ليديا اما عَفوُك عنى واما طعنة من هذا النَّصْل القاطع » •••

سير أنتونى : « أيها الأبله — اطعن طعنتك عسى أن لا يقف دونها شيء » — هذا هو ما ستقوله هى • انصرف من هنا وسُحْقاً لِحُلِيِّك الملعونة !

(يخرج أبسوليوت) •
(يدخل دافيد جاريا) •

دافيد : أوقفه ! أوقفه ! القَتْل النص ! الحريق • أوقف النار ! أوقف النار ! الغوث يا سير أنتونى ! نادِه نادِه • مُرْهُ أن يَقِف القتل ! النار ! •

سير أنتونى : القتل ! النار ! أين ؟

دافيد : الغوث ! لقد ابتعد عن النظر ! وأنا أكاد أسلم نفسى ! فيما يختص بى ! آه يا سير أنتونى • لماذا لم توقفه • لماذا لم توقفه ؟

سير أنتونى : يا للشيطان ! هذا الشاب قد جُنّ — أُوقف من ؟ أوقف جاك ؟

دافيد : نعم • الكابتن يا سيدى ! يوجد قَتْل ويوجد ذَبْح —

سير أنتونى : قَتْل ؟

دافيـــد : أى نعم ! أرجوك ! يا سـير أنتونى ! هنالك كل أنواع القتـــل ! كل أنواع الذبـح • تراها فى الساحة ! هناك قتـال دائر • سـيدى قتال لعـين بالسيوف وبالبنادق !

سير أنتونى : مَن الذين يتقاتلون أيها الغبى ؟

دافيـــد : كل الأشخاص الذين أعرفهم يا سير أنتونى • كل منهم ذاهب للقتال يا سيدى المسـكين • وسـير لوشياس أوتريجر ـ وابنك الكابتن ـ

سير أنتونى : ويل له ! الكلب ! لقد بانَتْ حيلته ! هل تعرف المكان ؟

دافيـــد : فى ساحة الملك •

سير أنتونى : هل تعرف الطريق ؟

دافيـــد : ولا بوصة واحدة ـ ولكنى سأدعو حاكم المدينـة وشـيوخ البلد ـ والكونوسـتبلات والقساوسـة والمشرفين • كل هؤلاء لن يكونوا أكثر مما يجب لكى نتمكن من تفريقهم بعضهم عن بعض •

سير أنتونى : هيا بنا ـ اعطنى كتفك ! سـنحصل على المساعدة فى أثناء سـيرنا ـ الـكذاب الوَغْـد ويلٌ له • سَيَبْلُغ بى الغيظ أشَدَّه ! ـ كذلك ـ هذه اذن حقيقـة حكاية الحُلِىّ واللّعَب التافهـة ! سأُلَعِّبُه أنا •

(يخرجان) •

المنظر الثالث : ساحة الملك

سير لوشيوس وأكرز (بيدهما المسدسات) .

أكرز : قسماً بشجاعتى ! ان أربعين ياردة لمسافة كافية يا سير لوشياس ! لعنةُ الله على المُسْتَوَى وعلى التصويب ! أقول انها مسافة كافية !

سيرلوشيوس : هل ذلك للبنادق أو للأسلحة الصغيرة ؟ أُقسِمُ بشرفى يا مستر أكرز يجب عليك أن تدع مثل هذه الأمور لى ـ انتظر قليلا سأُرِيكَ ...

(يقيس بخطواته خلال المسرح) .

أنظر ! الآن ! هذه مسافة مناسبة جدا . مسافة مناسبة لسيد مهذب .

أكرز : يا للشيطان ! لم يبقَ علينا الا أن نتقاتل داخل كشك الحارس ! أؤكد لك يا سير لوشياس انه كلما زادت المسافة بُعداً كلما كنتُ أربطَ جأشا عند التصويب .

سيرلوشيوس : عجبا ! اذن أظن انَّك تصيبُه أحسنَ أصابة اذا كان خارج مرمى النظر !

أكـــرز : لا . يا سير لوشياس . ولكنى أظن أن أربعين أو ثمانية وثلاثين ياردة . . . .

سيرلوشيوس : أف ! أف ! كلام فارغ ! ثلاثة أو أربعة أقدام بين فوهتى المسدسين مثلها مثل ميل لا فرق بينهما !

أكـــرز : لعنـــةُ الله على الرصاصـات كلهـا ! لا ! أقسم بشجاعتى انه لن يكون هناك فضـل فى قتله على هذا القرب . أرجوك يا سـير لوشياس اذا كنت تحبنى ! فلتدعنى أقتله على مسافـة بعيـدة ـ على مسافة بعيدة اذا كنت تحبنى .

سيرلوشيوس : حسناً ! يجب أن نقرر ذلك معا ـ شاهـد السيد وأنا ! لـكن أخبـرنى الآن يا مستر أكرز . فى حالة حدوث أىّ حادثة هل يوجـد أىّ وصـيّة صغيرة أو مُهِمَّة يمكننى أن أنَفِّذها لك ؟

أكـــرز : أنا ممتن لك جدا يا سـير لوشياس ولـكنى لاأفهم ...

سيرلوشيوس : كيف ؟ أنت لا شـك تعلم انه لا يمكن أن يخلو اطـلاق الرصاص على الانسان من خطـر ! واذا أصابت رصاصة تَعِسَة مقتـلا . فأعتقـد أنه لن يكون هناك وقت لمَضـايقتك فيـه بشأن المسائـل العائلية .

أكـــرز : مقتل !

سيرلوشيوس : مثلا • الآن ـ اذا حَدَث هذا ! هل تختار أن تُحَنَّط وتُرسَل الى بلدتك ؟ أو يستوى عندك أن تُدفَن هنا فى الدير •• لقد أخبرونى انه يوجد منامة مريحة جدا فى الدير •

أكـــرز : أحَنَّط ؟ مَنَامَة مريحة فى الدير ! يا للقشعريرة الملعونة ! سير لوشياس • أرجوك أن لا تتكلم مثل هذا الكلام •

أكـــرز : يُخَيَّل لى يا مستر أكرز انك لم تَشْتَبِك فى مسألة كهذه من قبل ؟

أكـــرز : لا • يا سير لوشياس • أبدا !

سيرلوشيوس : آه • هذا شىء يؤسف له ! لا يوجد أفضل من التعوّد على الشىء ـ أرجوك الآن كيف ستتلقى رصاصة السيّد ؟

أكـــرز : يا لَلَّعنة ! سبق لى أن تمرّنت على ذلك • انظر • سير لوشياس ـ انظر (يضع نفسه فى وضع مُعَيَّن) وضع غير متّجه نحوه ـ هيه ؟ مُدْهش ! سأجعل نفسى صغيرا جداً ـ سأقف وقفةً جانبية •

سيرلوشيوس : الآن • أنت لست فى وضع طبيعى اطلاقا • لانك اذا وقفت هكذا بينما أنا أصوب عليك •

(يرفع مسدسه نحوه مصوبا) .

آكـــرز : يا للشيطان ! سير لوشياس . أنت متأكد أنه خالٍ ؟

سيرلوشيوس : لا تخف أبدا .

آكـــرز : لكن . لكن . أنت لا تعلم . قد تَنطلق من تلقاء نفسها .

سيرلوشيوس : أف ! اطمئن ـ والآن اذا أنا أصبتُك فى الجسم فسيكون لرصاصتى فرصة مضاعَفة . لأنهـا اذا أخطأت عضوا حيويا من جنبك اليمين فمن الصعب جدا أن لا تنجح فى الجنب الشمال .

آكـــرز : عُضْواً حيوياً !

سيرلوشيوس : ولكن . مهلا . قف هكذا . (يوقفه) دعه ينظر الى عَـرْض صـــدرك . كـذا . والآن يمكن لرصاصـــة أو رصاصـتين أن تخترق جسمك مباشرةً دون أن تسببا أىّ ضرر على الاطلاق !

آكـــرز : تخترق جسمى مباشرة ؟ رصاصة أو رصاصـتان داخل جسمى ؟

سيرلوشيوس : نعم . ربما !! وهذه هى أظرف وقفة تَقِفُها فى هذا المضمار .

آكـــرز : اصغِ الىّ ! يا سير لوشـياس . يستوى لدى أن

أصاب وأنا فى وقفة غَبِيَّة أو أن أصاب وأنا فى وقفة ظريفة ـ لذلك قسماً بشجاعتى لأقفنّ وقفة جانبية •

سيرلوشيوس : (ينظر فى ساعته) بالتأكيد • هم لا يعتزمون إخلاف موعدهم معنا ! كيف ؟ لا ! • قسماً ! أظن انى أراهم قادمين •

أكرز : ايه ؟ ماذا تقول ؟ قادمين ؟

سيرلوشيوس : نعم ـ مَنْ هؤلاء الذين يصعدون السلم هناك ؟

أكرز : اثنان منهم بلا شك ؟ حسن ـ دعهم يأتوا ـ هيه • سير لوشياس ! نحن • نحن • نحن لن نجرى !

سيرلوشيوس : نجرى ؟

أكرز : لا ! أنا قلت « لن نجرى » قسماً بشجاعتى !

سيرلوشيوس : بحق الشيطان • ماذا جرى لك ؟

أكرز : لا شىء ! لا شىء ! يا صديقى العزيز ـ يا عزيزى سير لوشياس ولكن أنا • أنا لم أَعُدْ أشعر ـ لا أدرى لماذا ـ بالشجاعة التامة التى كنت أشعر بها من قبل !

سيرلوشيوس : ويحك ! فكّر فى شرفك !

آكـــرز : أى نعم ـ حقـاً ـ شَـرَفى ـ أرجـوك يا سـير لوشـياس أن تُـلْـقِى بكلمـة أو كلمتَيْـن عن شَـرَفى بين لحظة وأخرى • !

سيرلوشيوس : حسنا ! ها هم قادمون •

(ينظـــر) .

آكـــرز : سير لوشياس ـ اذا لم أكن موجودا معك لكنت أظن انى خائف ـ اذا كانت شجاعتى قد وَلَّت عنى •• فان الشجاعة تذهب وتعود !

سيرلوشيوس : اذن • أقبض عليها بشدّة عندما تعود اليك !

آكـــرز : سير لوشياس ـ أنا أظنّ انها مُوَلِّية ـ نعم ـ ان شجاعتى مُوَلِّية بكل تأكيد ! انها تسللت بعيدا عنى ! أشـعر انهـا تَبَخَّرت • كما لو كانت موضوعة على راحتَىْ يدى الاثنتيْن !

سيرلوشيوس : شرفك ! ـ شرفك ! ـ ها هما قد وصلا •

آكـــرز : يا للرحمة ! ليتنى كنت سـليما معافى فى قصرى « كلود هول » • أو لَيْتَنِى أصبت قبل أن أعلم!

(يدخل فولكلاند وآبسوليوت) .

سيرلوشيوس : أيها السيدان خادمكما المطيع ! ما هذا ؟ مَنْ ؟ كابتن أبسوليوت ؟ أظن يا سـيدى انك أتيت الى

هنا • مثلى تماما • لكى تقوم بخدمة انسانية لصديقك أولا ثم تشرع فى عمل آخر خاص بك •

أكرز : من ؟ جاك ! ـ عزيزى جاك ! صديقى العزيز !

بسوليوت : اسمع يا بوب • ها هو بيفرلى أمامك •

سيرلوشيوس : حسنا يا مستر أكرز ـ أنا لا ألومك على ترحيبك بالسيد بكل أدب والآن (الى فولكلاند) يا مستر بيفرلى • اذا اخترتم أسلحتكم فان الكابتن وأنا نقوم بقياس المسافة •

فولكلاند : أسلحتى أنا يا سيدى !

أكرز : أمر عجيب ! سير لوشياس • أنا لن أقاتل مستر فولكلاند • هذان السيدان من أخص أصدقائى !

سيرلوشيوس : ما هذا أيها السيد ؟ ألم تأت الى هنا لمبارزة مستر أكرز ؟

فولكلاند : لا يا سيدى وشَرَفى •

سيرلوشيوس : هذا شىء مثير جدا ! ولكنى أتعشم يا مستر فولكلاند ، حيث اننا جئنا نحن الثلاثة الى هنا من أجل المبارزة ـ ألا تكون شاذاً الى حدّ أن تفسد الاجتماع بانسحابك من المبارزة •

بسوليوت : أرجوك يا فولكلاند أن تقاتل لكى تُرْضى سير لوشياس • !

فولكلاند : كلا . أما اذا كان مستر أكرز ميالا الى ذلك ...

أكـــرز : لا . لا . يا مستر فولكلاند ـ سأتحمل خُلْف الوعد كما يتحمله المسيحى استمع الىّ . يا سير لوشياس . لا توجد أية فرصة لى على الاطلاق لكى أقاتل ـ فاذا كان الأمر يستوى عندك فالأفضل أن ندعها تمر ...

سيرلوشيوس : انتبه الىّ يا مستر آكرز ! أنا لست ممن يُستَهزأ بهم ! لا شك انك تحدّيت شخصا لمبارزتك . وانك أتيت هنا الليلة لمقاتلته والآن اذا كان هذا السيد يرغب فى النيابة عنه فلعمرى لا أدرى لماذا لا يتم الأمر على هذا المنوال !

أكـــرز : تمهل ! لا ! يا سير لوشياس . أنا أخبرك ! لقد تحديتُ شخصا يُدعى بيفرلى وهذا الشخص . كما يبدو لك . لم يجرؤ على الحضور ! اذا هو جاء الى هنا فسأجعله يكف عن ادعاءاته فورا !

أبسوليوت : صه ؟ يا بوب . دعنى أصحح لك قولك ـ لا يوجد أحد يُدعى بيفرلى فى هذه القضية .. الشخص الذى تَسمى بهذا الاسم هو الواقف أمامك . وحيث ان ادعاءاته هى واحدة لكلا الشخصين فانه على استعداد لمساندتهما بأية طريقة تختارها .

سيرلوشيوس : بديع ! هذا من حسن الحظ ـ ها هى الفرصة تسنح لك الآن ـ .

أكرز : ماذا ؟ أقاتل صديقى العزيز جاك . جاك أبسوليوت ـ لا ولو كان هو خمسين بيفرلى معا ! يا للسماء ! سير لوشياس أنت لا ترضى أن أكون متوحشا الى هذا الحد .

سيرلوشيوس : أقسم بضميرى يا مستر أكرز : ان شجاعتك تَبَخَّرت كلها وبشكل فظيع .

أكرز : أبداً . اطلاقا ! ما أحسن المعاونة والمساعدة ! سأكون أنا شاهدك ومساعدك من كل قلبى ... واذا أصابتك رصاصة قاتلة فَيُمكنك أن تأمرنى بما تشاء ـ سأجدُ لك منامة مريحة جدا فى الدير أو أحنّطك وأرسلك الى بلدتك أو أى شىء من هذا القبيل . بمنتهى السرور .

سيرلوشيوس : أفٍ لكَ . أنت لا تفضل الجبان الا قليلا !

أكرز : اسمعوا أيها السادة انه يدعونى « جبان » «جبان» كانت هى كلمته نفسها . قسماً بشجاعتى !

سيرلوشيوس : حسنا أيها السيد ـ ماذا ؟

أكرز : استمع الىّ يا سير لوشيس ـ أنا لا أبالى بكلمة « جبان » « جبان » قد تُقال فى المزاح ولكنك

اذا دعـوتنى « رعـديدا » فـوَحق الخنـــاجر والقنابل ـ

سيرلوشيوس : حسنا أيها السيد ماذا يَحدث اذن ؟

أكـــرز : اذن لظننتكَ رجلا سيء التربية جدا !

سيرلوشيوس : أف • أنت أدنى من أن أعيرك التفاتا !

أبسوليوت : والآن • يا سير لوشـــياس : أنت لا يمكنك أن تجد لك شاهداً أفضل من صديقى أكرز ـ انه (كلب شديد العناد) ـ يسمونه فى البلد (بوب المقاتل) ـ هو عادة يقتـل رجلا فى الأسبوع ـ أليس كذلك يا بوب ؟

أكـــرز : نعم ـ فى البلد !

سيرلوشيوس : حسـنا اذن يا كابتن ـ فلنبدأ • ولْتَخرُج أنت يا مستشارى الصغير (يستل سيفه) اسأل هـــذا السيد هل هو سـيتنازل عن الآنسـة دون أن يرغمك على التدخل ضده !

أبسوليوت : تقدم اذن يا سـيدى (يخرج سيفه) • بما أنك لا تريد حلا حبّيا فهذا هو جوابى •• !

(يدخل سير أنتونى • دافيد • والسيدات)

دافيـــد : اضربهم جميعا • اطرحهم أرضا يا سير أنتونى •

يا عظيم • اضرب سيدى • على الأخص واربط يديه حتى تعودا لسلوكهما الجميل •

سير أنتونى : اغمد سيفك • اغمد • والا بلغ بى الغضب أشده • كيف تورطت فى مبارزة أيها السيد ؟

أبسوليوت : شرفا يا سيدى • ذلك الرجل يستطيع أن يخبرك خيرا منى انه هو الذى دعانى الى ذلك وأنت تعلم يا سيدى انى فى خدمة جلالة الملك !

سير أنتونى : هذا فتى عجيب ! أقبِض عليه وهو على وشك أن يقطع رقبة رجل • فيقول لى أنه فى خدمة جلالة الملك • يا للشيطان أيها السيد ! وكيف تجرأت على أن ترفع سيف الملك ضد أحد رعاياه ؟

أبسوليوت : سيدى • أنا أقول لك أن هذا السيد قد دعانى الى مبارزته دون ذكر الأسباب ؟

سير أنتونى : يالله ! وأنت أيها السيد كيف تسنى لك أن تدعو ابنى للمبارزة دون ذكر الأسباب ؟

سيرلوشيوس : ابنك يا سيدى أهاننى بكيفية لم يستطع شرفى أن يتحملها ؟

سير أنتونى : يا للشيطان ! جاك ! كيف تجرأت على اهانة هذا السيد بكيفية لم يستطع شرفه أن يتحملها ؟

مسز مالابروب : مهلا ! مهلا ! دعونا من الشرف فى حضرة

السيدات ـ كابتن أبسوليوت • تعال هنـا • كيف رضيت أن تُرْعِبنا الى هذا الحـد ؟ ها هى ليديا أوْشكَت أن تموت من الخوف عليك •

ابسوليوت : الخـــوف من أن أُقتَـــل أم من أن أهرب يا سيدتى ؟

مسز ملابروب : لا • لاعودة الى المـاضى • ليـــديا قـد اقتنعت • تكَلّمى أيتها الطفلة •

سيرلوشيوس : بعد اذنك يا سيدتى سأقول كلمة هنا ـ أعتقد انى أستطيع تفسير صمت هذه السيدة الشابة • والآن اسمعوا !

ليـــديا : ماذا عساك تعنى يا سيدى ؟

سيرلوشيوس : كفى كفى يا ديليـــا ! لابد أن نكون جادّيْن الآن !
ليس هذا وقت العبَث •

ليـــديا : هذا حق يا سيدى ! وأن توبيخك لى يَحْفزنى على أنأقدّم يدى الى هذا السيد المهذب ـ راجيةً منه أن يعود الى سابق حبه •

ابسوليوت : مرحبـــا ! ملاكى الصغير ! هل أنت التى تقول ذلك ؟ سير لوشياس ! أعتقد أن هنالك خطأ ما فيما يختص بالاهانة التى تؤكد انى وجهتُهـا اليك •

كل ما أقوله هو انهـــا لا يمكن أن تكون مُتَعَمَّدة ـ وَبِمَا أنك لا شك مقتنع الآن بأنى لست أخاف أن أدافع ضد اساءة حقيقية فأنا لا أخجل من أن أكَفِّر عن سهو غير مقصود . لذلك أسألك العَفْو ـ أما عن هذه الآنسة فَبِما أنها شرفتنى بأيثارهـــا لى فانى سأنتصر لحُقِّى ضد أى رجلٍ كائناً من كان . . .

سير آنتونى : خبذا القول يا جاك وأنا نصيرُك يا منى !

أكـــرز : أشهدكم انى متنازل عن كل مطالبـــه . ليس لى ادعاء لشىء ما على وجه البسيطة واذا لم يمكننى الحصـــول على زوجة الا بالقتـــال فى سبيلها . فَقَسَماً بشجاعتى سأبقى العمر كله أعزبا ! .

سيرلوشيوس : كابتن . هات يدك . الاهانة التى يُعترَف بهـــا اعترافا جميلا تُصبح باعثاً على الامتنان وأما فيما يختص بالسـيدة فاذا هى أرادت أن تُنكر خَطَّ يدها . ها هو ..

(يخرج خطابات كثيرة) .

مسز مالابروب : الويل له ! أنه سيكشف سرى ـ سير لوشياس ـ لعلَّ هناك خطأ ما ـ ربما أمكننى ايضاحه ـ

سيرلوشيوس : عفوا أيتهـــا السيدة العجوز ـ لا تتدخلى فيمـــا

لا يَعنيك ـ مس لانجوش • هـل أنتِ ديليـا صاحبة الخطابات أم لا ؟

ليـديا : لا • لست أنا يا سير لوشياس • بكل تأكيد !

(ليديا وأبسوليوت يتمشيان جنبـا الى جنب) .

مسز مالابروب : سيرلوشياس أوتريجر ـ بالرغم من أنكَ جاحد للجميل • أبلغك انى أنا صاحبة هـذه النجوى الرقيقـة ـ اغتفر لى احمـرار وجهى خجـلاً ! أنا ديليا !

سيرلوشيوس : أنتِ ديليا ؟ يا للخيبة استريحى ! كفاكِ تعبا !

مسز مالابروب : ماذا أيها البربرى المتوحش • هذه الخطابات هى خطاباتى ـ عنـدما تُصبح أكثرَ ادراكاً لرقتى ولُطفى • فعندئذ قد ارتضى تشجيع غرامياتك •

سيرلوشيوس : مِسز مالا بروب ! أنا شـاعرٌ كل الشـعور بتنازلك • وسواء كنتِ أنتِ أو كانت لوسى هى التى أوقَعَتْنى فى هذا الشرك فانى مدين لكمـا بالشـكر • ولكَىْ أثبتَ لكِ انى لست جاحدا للجميـل • فياكابتن أبسوليوت بمـا انك قد فُزتَ بهذه السيدة دونى فانى أعطيك ديليا أيضا فوق الصفقة •

أبسوليوت : أنا ممتن لك جدا يا سير لوشياس ولكن هنا صديقى المقاتل بوب لم يظفر بشيء بعد !

سيرلوشيوس : ها ها . هَلُمَّ يا قِزْم الشجاعة ! هل لكَ فى أن تظفر بنصيبك ؟

أكرز : يا للتجاعيد ! لا بل اعطنى يدك يا سير لوشياس . وانْسَ واغتفر وأما اذا حدث يوما أنْ منحتُك فرصة تحنيطى ثانيةً . فقل أن بوب أكرز مغفَّل تماما !

سير أنتونى : تعالى يا مسز مالا بروب لا تحزنى ! أنتِ لا تزالين فى زهرة العمر .

مسز مالابروب : آه عزيزى سير أنتونى ! الرجال كلهم متوحشون .

(يخروجون جميعا عدا جوليا وفولكلاند) .

جوليا : يبدو عليه الحزن والتعاسة ـ ولكنه ليس عابسا ـ لا ريب أنه كان ثَمَّ أساسٌ للحكاية التى حكاها لى ـ ايه أيتها المرأة ! كم يكون حُكْمك صادقا عندما تكون عزيمتك ضعيفةً الى هذا الحد !

فولكلاند : جوليا ! كيف يتَسنَّى لى أن ألتمس منك مالا

أستحق منه الا القليل ! لا أجرؤ أن أدّعى أن لى حقاً ما ـ ولكن الأمَل هو ابن التّوبة !

جوليـــا : آه يا فولكلاند ! أنت لم تكن فى معاملتك القاسية لى أكثرَ خطأً منى فى عدم الميل الى الاحتجـاج عليهـــا ـ وكما أن قلبى يأمرُنى مُخْلِصاً أن أســـتغلّ ضعفى فى جانب حبى فانى أكون غير كريمة اذا أنا لم أسمح لك أن تفعل نفس الشىء.

فولكلاند : الآن .. أتم الله نعمته علىّ يقينا !
(يتقدم سير أنتونى نحوهما) .

سير أنتونى : ما الذى يجرى هنا ؟ كنتما تتقاتلان أنتما أيضـا ! أراهن على ذلك .. تعالى جوليا أنا لم أتدخل فى شأنكُمَا من قبل ولكن دَعينى أمدُّ يدى أخيرا ـ يبدو أن كل الأخطاء التى رأيتُها فى صديقى فولكلاند نتجَت عما يسميه هو الرقة والحرارة اللتين يتميز بهما حبُه لك ـ اسمعى ! تزوجيه فى الحال يا جوليا . ستجدين أن أموره قد تحسنت بشكل عجيب .
(الباقون يتقدمون نحوهم) .

سيرلوشيوس : والآن أيها السـادة أتعشم أنه ليس بيننا شخص غير راض ، كلنـــا مغتبطون ـ فأنا الذى مُنيت بالفَشَل كم يكون فَشَلى صَعْباً علىّ جدا اذا أنا لم أغتَبِطْ بما نال الآخرون من فوز .

أكـــرز : أنت على حق يا سير لوشياس • وعلى هذا أتمنى لك الهناء يا جاك • وأنت أيضا يا مستر فولكلاند ـ وانتن أيتها السيدات تعالين أريكن انى لست بحاقد ولا غاضب وقســـماً بالطبول والمزامير ! لأمرنن باعداد الموسيقى • خلال نصف ساعة فى الغـــرف الجـــديدة • وانى مصرٌ كل الاصرار على حضوركن جميعا هنالك •

سير آنتونى : مُدهش ! أيها السيد • كم أحبُّ روحك هذه الليلة نحن العزاب سنشرب نخب العروسين والعريســـين كمـــا نشرب نخب زوجٍ لمسز مالا بروب •

فولوكلاند : جاك ! أرى شريكتينا قد هربتا منـــا ـ فأرجو أن تهنىء كل منهما الأخرى : صاحبتُك على أنهـا حالَت فى الوقت المناسب دون أخطاء خيال خادع كان يمكن أن يخون قلبا طاهرا بريئا ـ وصاحبتى لأنها برقتها واخلاصهـــا قد أصلحت مزاجا أنكدَ لرجلٍ كم عذب به تلك التى هو أشد ما يكون بها كَلَفاً • وكم أشقى به القلب الذى كان ينبغى عليه أن يعبُد !

أبسوليوت : حسنا فولكلاند : لقد ذُقْنا كلانا مُرَّ الهـــوى وحُلْوَه • ولكن بيننا ذلك الفارق الوحيـــد :

كنتَ أنتَ دائما تُعـــدُّ كأسَ المُرِّ لنفسك .
أما أنا ...

ليديا : فكنتَ دائماً مدينـــاً به لى . أليس كذلك .
يا أمير الحياء ! ولكن تعـال . حَسْبُنا ما فات .
ان سعادتنا الآن نقية عارمة .

جوليـــا : فلنتعلم كيف نَبْقَى دائما كذلك . وبينما يصور
لنا الأمل منظراً مغريا لنعيم مقبـــل فَلْنأبَ على
قامة تلك الألوان التى يَحُول زَهْوُها دون
طول بقائها ـ عندما تَتَعاهد القلوب الجـــديرة
بالسعادة على وحـدة المصـــير الهنىء فَلْتُتَوِّج
الفضيلة الرؤوس بأكليل من الغار لا يبلى له أزهار
من الحياء والعفّ عن الاذى أما تلك الانفعالات
الظالمة فانها تغرس الورد الكاذب الفاقع اللون فى
الاكليـل ـ وما أن تسقـط أوراق الـورد حتى
ينبرى الشوك للايلام والأذى .

ختـــام

روائع المسرح العـــالمى

صدر منها حتى الآن ٧٣ مسرحية

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٢	الشقيقات الثلاث	انطون تشيكوف
٣	أعمـــدة المجتمع	هنريك ابسن
٣	سيرانو دى برجراك	ادمون روستان
٤	مروحة ليدى وندمير	أوسكار وايلد
٥	بنيلوبى	سمرست موم
٦	الغربان	هنرى بك
٧	اليكترا	جان جيرودو
٨	توركاريه	ر. لوساج
٩	الدائرة	سمرست موم
١٠	شـــاترتون	الفرد ويفينى
١١	الأم	كارل تشابك
١٢	اللعبة الغـــادرة	جون جالزورذى
١٣	لعبة الحب والمصادفة	ماريفو
١٤	ست شخصيات تبحث عن مؤلف	لويجى بيراندللو
١٥	عربة اسمها الرغبة	تنسى وليامز

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٦	عزيزى بروتس	ج. م. بارى
١٧	رجل اللـــه	جابرييل مارسل
١٨	هيدا جابلر	هنريك ابسن
١٩	سباق المشاعل	بول هارفييه
٢٠	كنـــوك	جول رومان
٢١	جونو والطـــاووس	شيين أوكاسى
٢٢	دون جوان	موليير
٢٣	بيت برناردا ألبـــا	فدريكو غرسيه لوركا
٢٤	القرد الكثيف الشعر	يوجين أونيل
٢٥	مأساة الدكتور فوستس	كريستوفر مارلو
٢٦	الأستاذ كلينوف	كارن برامسون
٢٧	ثورة الموتى	اروين شو
٢٨	ما تعرفه كل امرأة	أوسكار وايلد
٢٩	أهمية أن يكون الانسان جادا	جيمس بارى
٣٠	دائرة الطباشير القوقازية	برتولت برشت
٣١	منزل القلوب المحطمة	جورج برناردشو
٣٢	الفيثارة الحديدية	جوزيف أوكونور
٣٣	أفكار صبيانية	نويل كوارد
٣٤	زوجة مستر تانكرى الثانية	آرثر وينج بنيرو
٣٥	عندما نبعث نحن الموتى	هنريك ابسن

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٣٦	لا وقت للفكاهة	س. ن. بيرمار
٣٧	سيجفريد	جان جيرودو
٣٨	علماء الطبيعة	فريدرش دورنمات
٣٩	رغبة تحت شجرة الدردار	يوجين أونيل
٤٠	حورية البحر	هنريك ابسن
٤١	جزاء خدماتهم	سومرست موم
٤٢	ايولف الصغير	هنريك ابسن
٤٣	بلياس وميليزاند	موريس ماترلنك
٤٤	الاله الكبير براون	يوجين أونيل
٤٥	حاملة المصباح	رجنالد بركلى
٤٦	آل باريت	رودلف بيزييه
٤٧	الزفاف الدامى	فدريكو جرثنا لوركا
٤٨	الخاطبة	ثورنتن ويلدر
٤٩	أعرف نفسك	بول هرفيو
٥٠	القصى	ترنتبوس أفير
٥١	فترة التوافق	تنيسى وليامز
٥٢	بيرجينت	جون جلزورذى
٥٣	الابن الأكبر	جون جلزورذى
٥٤	زيارة السيدة العجوز	فريدريش دورينمات
٥٥	ديدرى فتاة الأحزان	جون ميلنجتون سينج

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٥٦	المسافر بلا متاع	جان انوى
٥٧	الحالمة	المر رايس
٥٨	كلهم أولادى	آرثر ميلر
٥٩	أوندين	جونهولد افرايم لسينج
٦٠	ميناقون بارنهلم	جان جيرودو
٦١	معطف الفراء	جرهارت هاوبتمان
٦٢	كرنفال الأشباح	موريس دوكوبرا
٦٣	« هو » الذى يصفع	ليونيد أندرييف
٦٤	فتى الغرب المدلل	جون ميلنجتون سينج
٦٥	قواعد المبارزة	لويجى بيراند
٦٦	عرفوا ما يريدون	سيدنى هوارد
٦٧	المحراث والنجوم	شون اركيس
٦٨	أميديه	ارجين ينسكو
٦٩	المسامر	جون أوسبورن
٧٠	أجازة	فيليب بارى
٧١	الجنوب	جوليان جرين
٧٢	الطائر الأزرق	موريس ميترلينك

ملتزم التوزيع فى الداخل والخارج : **مؤسسة الخانجى بالقاهرة**
وتطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابى « القاهرة »
ومن مكتبة المثنى ببغداد ودار العلم للملايين ببيروت

السبت من كل أسبوع موعدكم ...

مع عدد جديد من مجلة

الإذاعة والسينما

التليفزيون • المسرح • السياحة

يقرؤها ½ مليون عربي كل أسبوع

تجديدات شاملة في جميع الأبواب

٧٢ صفحة بالألوان

بالسعر العادي ٥٠ مليما

احرص على شراء نسختك

لتقرأها مع الملايين

الشركة المصرية للطباعة
حسن مدكور وأولاده
٣٠ شارع عبد الخالق ثروت بالقاهرة
تليفون ٥١٥٧١ — ٤٨٩٢١